لواء الإسلام

مجلة دينية ثقافية اجتماعية

العدد الثامن — ربيع الثانى ١٣٧٥

السنة التاسعة — نوفمبر ، ديسمبر ١٩٥٥

صاحب الامتياز

احمد حمزة

حقوق مجلات قديمة محفوظة — https://t.me/megallat/ — Not for sale

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

عبد المنعم
احمد حسن

العدد الثامن
السنة التاسعة

« لواء الإسلام »

ربيع الثانى ١٣٧٥
نوفمبر ، ديسمبر ١٩٥٩

جروب مجلات قديمة - تلجرام
https://t.me/megallat/
Not-for-salle

(١) سورة الفاتحة
مكية وآياتها سبع
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين ۝ الرحمن
الرحيم ۝ مالك يوم الدين ۝
إياك نعبد وإياك نستعين ۝
اهدنا الصراط المستقيم ۝
صراط الذين أنعمت عليهم غير
المغضوب عليهم ولا الضالين ۝
تراث العباد للذرية

الاشتراك السنوى

فى مصر والسودان	٣٠	قرشا مصريا
فى الدول العربية	٤٥	» »
فى سائر انحاء العالم الأخرى	٧٥	» »

(أو مايوازيها من كوبونات البريد الدولية ـ الكوبون الواحد يساوى قرشين مصريين

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

الأزهر للشريعة أولا

نبتت فى هذه الأيام دعوة إلى توحيد التعليم ، ونادى بهذه الدعوة المنحرفة أناس غير مسئولين . وهدفهم من ذلك محو التعليم الدينى الذى قام عليه الأزهر منذ مئات السنين ، ويتخذون من إدماج التعليم الدينى بمرحلتيه الابتدائية والثانوية فى مثلهما من التعليم المدنى وسيلة إلى ذلك .

ولا يعلم إلا الله مآل المرحلة الأخيرة فى الأزهر . فقد لايرون ثمة حاجة إلى كلية للشريعة ولا إلى كلية للغة العربية . ولا ندرى أيضنون على كلية أصول الدين بالبقاء أم يتعطفون عليها فيحموها من معول الهدم الذى يستخدمونه .

ألا إن الأمر جد وليس بالهزل ! إن مصر قبلة المسلمين فى العلوم الدينية ، وامتازت منذ عصور الإسلام الأولى إلى اليوم بكثرة حفاظها للقرآن ، وأولئك الذين يدعون إلى هذا الإدماج الغريب ، بل إلى هذا الهدم العجيب ، يريدون أن يهدموا الأزهر لكى تزول عن مصر مكانتها الدينية ، فلا تكون فيها تلك المنارة التى يتجه إلى ضوئها المسلمون فى كل بقاع الأرض .

إن أولئك لا يريدون للاسلام وقاراً ؛ لأنه ما بقى الأزهر قائما فهو الجامع للمسلمين ، وهو نواة وحدتهم ، ولقد اكتسبت به مصر فخاراً فى الماضى عندما استولى التتار على بغداد ثم بلاد الشام ، فجاء إليه علماء الشرق يجدون فيه المأوى والمورد العذب والمستضاف الكريم .

وكذلك كان أمره عند ما أغار الصليبيون فى المغرب على الأندلس ، فقد أوى إليه علماء المغرب ، ووجدوا فيه الضيافة الكريمة التى وجدها علماء المشرق .

فكان ملتقى علماء المسلمين أجمعين .

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

وقد كان للأزهر مواقف وطنية خالدة ، سجلها له التاريخ ، وما زالت صورها ماثلة في الأذهان .

يريد أولئك أن يذهبوا بهذا التراث الخالد ، والمعقل الوطني التالد .

ثم إذا هدم الأزهر ذلك الهدم فما الذي يحمي القرآن الكريم ، وينشر تعاليم الدين ؟ لعل منع حفظ القرآن غاية من غايات أولئك الدعاة ، ومقصد من مقاصدهم ، هم ومن يكتبون لحسابهم من أعداء الإسلام .

إن يريدون بتوحيد التعليم إلا هدم الأزهر ، ومنع حفظ القرآن الكريم ، وسد الطريق على الوحدة الإسلامية ، ويأبى الله إلا ما يريد .

« يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ » .

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

محمد أبو زهرة

تفسير القرآن الكريم

« هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ، قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨) فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ : أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ (٣٩) قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ ، وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ ، وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ؟ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (٤٠) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ، قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزاً ، وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً ، وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (٤١) » .

١ — فى الآيات السابقة ذكر سبحانه قصة ولادة مريم ، وفى هذه الآيات يقص ولادة يحيى ، وإن ولادة مريم كانت ذات صلة وثيقة بولادة يحيى عليه السلام ، وإنها تتجه نحو خوارق العادات أكثر من ولادة مريم وحالها . فالقصص الأربع تتدرج فى خوارق العادات ، تبتدئ بالقريب من المألوف ثم تنتهى بخوارق لم يكن للناس بها عهد من قبل .

وانتهينا فى قصة مريم البتول إلى أن نبى الله زكريا كفلها ، وأنها تربت منذ صغرها فى المسجد ، بيت الله المقدس ، وأن الله أفاض عليها بالخير والنعم الظاهرة والباطنة ، فملأ قلبها إيماناً وروحانية ، وغذاها بلبان المعرفة ، وبغذاء مادى طيب .

ولقد كان زكريا ، ومريم تدرج

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

فى مدارج الصبا ، شيخاً هرماً يئس من الولاد ، ولكنه عند ما رأى مريم وتنشئتها على الإيمان والمعرفة ومحبة من الله تعالى ، ورآها ترزق بغير حساب ، ورأى منها مع صغر السن نجابة وتفويضاً وإيماناً راسخاً ، حَنَّ إلى الولد حنينا ، ورغب فى الذرية ، وكان بين حالين متناقضتين : حال تلك الرغبة وعدم اليأس من رحمة الله القادر على كل شىء ، وحال الكبر الذى أصابه ، والشيخوخة الفانية التى هو فيها ؛ ولكنه قد تحرك فيه عامل الرغبة عند ما تكلم مع مريم فى المحراب يسائلها عما عندها من رزق كلما دخل عليها ، ولذا قال سبحانه وتعالى فى قصته :

« هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ، قَالَ : رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ، إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ » .

٢ — فى هذه الحال التى رأى فيها مريم تغلب فيه جانب الرجاء على جانب اليأس ، ولذا قال تعالى : «هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ» أى فى هذا المكان وهو المحراب الذى كان يلتقى فيه بمريم الْفَيْنَةَ بعد الفينة ، ويسائلها فيه ، وتتكلم بلسان البر والتقوى ، تحركت غريزة الأبوة فى ذلك المكان المقدس ، فدعا ربه . والتعبير بدعا ربه إشارة إلى شعوره بقدرة الله تعالى على كل شىء ، إذ هو ربه الذى ذرأه ونماه صغيراً ، حتى بلغ أشده ثم تولاه حتى بلغ من الكبر عتياً ، فقد اتجه إذن فى دعائه إلى الرب القادر العليم الذى أبدع كل شىء على غير مثال سبق ، قال : « رَبِّ » أى خالقى الذى خلقنى ، وخلق كل شىء من طين ، وصدر عنه كل ما فى الوجود بإرادته العالية : « هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ » أى أعطنى أنت عطاء كريماً لا سبب له إلا إرادتك ، ولا باعث عليه إلا رحمتك ، فلا يكون الأمر فيه جارياً على مقتضى الأسباب ومسبباتها ، إنما يكون على مقتضى الهبة المجردة ، والعطاء الخالص الذى لا سبب له إلا إرادتك الأزلية وإلا رحمتك : « مِنْ لَدُنْكَ » أى من عندك ؛ أى السبب يكون من عندك لا من عندى ؛ لأن الأسباب عندى قد زالت ، ولم يعد إلا سبب منك ، وإلا معجزة تكون فيها المانح المعطى من غير أى علة أو ترتيب . والتعبير بـ « لَدُنْكَ » التى لا تكاد تستعمل فى القرآن إلا فى جانب الله تعالى يفيد العندية العالية السامية ، لا العندية القريبة المقارنة ، ولا العندية المقاربة .

٣ — ودعاء نبى الله أن يهب له ذرية طيبة ، فلم يذكر الله سبحانه عنه فى هذه الآية سوى أنه يطلب ذرية طيبة ، والذرية قد بينا معناها من قبل . والطيبة : هى الذرية الحسنة المرغوب فيها التى تكون ذات أثر طيب ؛ لأن الطيِّب هو الأمر

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

الحسن المحبوب المرغوب فيه الذى لا ينتج إلا خيراً ، ويأتى بخير الثمرات وأحسن النتائج ؛ ومن ذلك قوله تعالى : « وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ، وَالَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِداً » .

وبعد أن ضرع هذه الضراعة بدا رجاؤه فى الإجابة بقوله : « إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ » أى إنك تعلم بدعائى علم من يسمع ، وإن الأمر إليك إذ علمته وسمعته ؛ فإن أجبت فبرحمتك ، وإن لم تجب فبحكمتك ، فأنت العليم الحكيم ، والرحمن الرحيم . والصيغة تفيد قرب الرجاء وإمكان الإجابة .

وفى هذه السورة لم يبين سبحانه شكل الدعاء أكان جهرا أم كان خفيا ، وفى سورة مريم بيّن حاله ، وبين نوع مايطلب من الذرية ، فقال سبحانه : « كهيعص ، ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ، إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ؛ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّى وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ، وَإِنِّى خِفْتُ الْمَوَالِىَ مِنْ وَرَائِى ، وَكَانَتِ امْرَأَتِى عَاقِراً فَهَبْ لِى مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ، يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ، وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا » .

وفى هذا النص الكريم يتبين أنه مع رجائه كان يذكر شيخوخته الفانية ، وكون امرأته عاقرا لا تلد ، ومع ذلك تغلب عليه جانب الرجاء ، فدعا ذلك الدعاء ، وضرع إلى الله تعالى تلك الضراعة ، وقد أجاب الله تعالى دعاءه فَوْرَ طلبه ؛ ولذا قال سبحانه :

« فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّى فِى الْمِحْرَابِ ، أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى » :

٤ — والتعبير بالفاء يفيد أن النداء كان فى زمن قريب من الدعاء . وهنا ثلاث نقط نريد أن نوضحها بعض التوضيح :

أولاهما : فى النداء ونسبته إلى الملائكة ، فهل خاطبه بهذا عدد منهم ؟ لقد أجاب المفسرون عن ذلك بجوابين ؛ أحدهما : أن الذى ناداه هو جبريل الذى ينزل بالوحى على النبيين ، ولقد قال فى ذلك التفسير ابن جرير الطبرى « يقال خرج فلان على بغال البريد ، وإنما ركب بغلا واحدا ، وركب السفن ، وإنما ركب سفينة واحدة ، وكما يقال ممن سمعت هذا فيقال من الناس ، وإنما سمعه من رجل واحد ، وقد قيل إن منه « الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ » والقائل فيما ذكروا كان واحدا » .

هذا توجيه من قال إن المراد جبريل ،

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

وفى ذكر الملائكة بالجمع إشارة إلى الجنس ، أى أن الله سبحانه كان من رحمته به أن جاب دعاءه ، وسارع بتبشيره بإجابته ، وكانت الإجابة بملائكته ، وإن كان المبلغ واحدا .

وأما التخريج الثانى : فهو أن المراد الجمع من الملائكة ؛ لأن من كمال عناية الله تعالى بعباده أن ألقى إليه بالبشرى عدد كبير من الملائكة لا واحد منهم ، وهذا ما رجحه ابن جرير ؛ ولذا قال : والصواب من القول فى تأويله أن يقال إن الله جل ثناؤه أخبر أن الملائكة نادته ، والظاهر من ذلك أنها جماعة الملائكة دون الواحد ، وجبريل واحد ، فلا يجوز أن يحمل تأويل القرآن إلا على الأظهر الأكثر من الكلام المستعمل فى ألسن العرب دون الأقل ، ما وجد إلى ذلك سبيل ، ولم تضطرنا حاجة إلى صرف ذلك إلى أنه بمعنى واحد ، فيحتاج له إلى طلب المخرج بالخفى من الكلام والمعانى » ولا شك أن العدد فيه مبالغة بالتبشير ، وكأن حال هذا النبى الكريم فى يأسه من الولد لشيخوخته الفانية وكون امرأته عاقرا وعجوزا ، كان يحتاج فيها إلى عدد من المبشرين ليزول من نفسه كل يأس ، ويحل محله الرجاء .

النقطة الثانية : أن النداء الذى وجهته الملائكة كان وهو قائم يصلى فى المحراب ، فهو فى وقت مواجهته لربه ، ومناجاته لخالقه ، وإنه بابتداء القول بالفاء الدالة على التعقيب من غير تراخ ، وكون خطاب زكريا لمريم كان وهو فى المحراب ، وأن الدعاء كان وهو فى المحراب ، يتبين أن إجابة الدعاء كانت فور الدعاء ، فهو قد ضرع إلى الله خالص النية ، طاهر النفس والحس فأجاب الله دعاءه على سنته فى إجابة المهديين من خلقه دعاءهم ، كما قال تعالى : « ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ » .

النقطة الثالثة : فى قوله تعالى : « أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ » وهنا قراءتان فى أن ، إحداهما بالكسر على تضمين النداء معنى القول ، أى فنادته الملائكة قائلين إن الله يبشرك بيحيى ، والفتح على أن الباء محذوفة والتقدير فنادته الملائكة بأن الله يبشرك بيحيى ، واقتران التبشير بالتسمية بيحيى للإشارة إلى أن ذلك المولود سيحيى اسمه وذكره بعد موته ، وبذلك تتحقق الإجابة الكاملة للدعاء ، إذ قال كما فى سورة مريم « يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا » .

وقد أجاب المولى القدير كل دعاء زكريا ، فكان المبشر به رضيا فى خلقه ودينه ؛ ولذا قال سبحانه فى وصفه :

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

« مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ » :

٥ — وصفه الله سبحانه وتعالى بصفات أربع كلها بجعل من الله وتكوينه وخلقه :

وأولى هذه الأوصاف : أنه كان مصدقا بكلمة من الله ، وتصديقه بكلمة من الله اختلف المفسرون فى تحرير معناها ، لاختلافهم فى معنى كلمة ، فمنهم من اتجه إلى أن كلمة الله هو المسيح عيسى بن مريم ، كما قال تعالى من بعد ذلك لمريم : « يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ » ويكون المدح فى يحيى حينئذ بأنه صدق عيسى وأذعن للحق إذ تبين له ، فلم يكن من المعاندين الذين يجحدون بآيات الله تعالى ، ويكفرون ببيناته . وسمى عيسى كلمة من الله ؛ لأنه نشأ بكلمة منه سبحانه . ومن المفسرين من قال إن المراد من كلمة الله تعالى كتابه ؛ وذلك لأنه تطلق الكلمة ويراد منها الكلام ، وذلك من هذا القبيل ، والظاهر عندى هو الأول ؛ لأنه فى هذه المقام ذكرت كلمة الله على أنها المسيح عليه السلام ، والاسم المكرر فى مقام واحد تكون فيه وحدة المقام دليلا على وحدة المسمى . وكان فى هذا التعبير إيذان بأن ولادة المسيح ستكون قريبا من ولادة يحيى وفيه إيماء إلى أن زكريا نبى الله قد أوتى علما بأن المسيح عهده قريب .

والوصف الثانى من أوصاف يحيى : أنه سيد ، والسيد فيعل من السيادة ، وهى الشرف والتفوق والعلو ، وتبتدىء السيادة بسيادة الإنسان على نفسه بأن يملك زمامها ، ويضبطها ويأخذ بعنانها ، فلا تذل ، ولا تتكبر ولا تجمح ، ولا يزال يترقى فى معنى السيادة من ضبط النفس والعلو عن سفساف الأمور ، والاستغناء عما فى أيدى الناس حتى يفوق الناس . وإنه يروى أن أعرابيا مر بالبصرة ، فسأل من سيد هذا المصر ؟ فقيل له : الحسن البصري فقال : وبم ساده ؟ قيل استغنى عما فى أيدى الناس ، واحتاج الناس إلى ما فى يده ، فقال : ذلك هو السيد حقا .

فكلمة السيد فى النص القرآنى الكريم تتضمن كل معانى السؤدد ومكارم الأخلاق .

والوصف الثالث : أنه حصور . وأصل الحصر معناه الحبس ، والمراد أنه حبس نفسه عن الشهوات ، حتى لقد روى أنه امتنع عن النساء زهادة واستعفافا ، واتجاها إلى الروحانية . وقيل إنه كان لا يأتى النساء عجزاً ، وذلك غير صحيح ، والحق أنه إن كان قد امتنع عن النساء فعن قدرة واختيار

جروب مجلات عربية - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

لا عن عجز ؛ وذلك لأن الله سبحانه وتعالى ساق ذلك الوصف فى مقام المدح والثناء ، ولا يتحقق معنى المدح والثناء إلا إذا كان فيه اختيار ، ولم يكن عجزا وجبرا . ولأن « حصور » صيغة مبالغة لحاصر ، أى أنه يبالغ فى منع نفسه من الشهوات .

وليس فى النص ما يدل على أنه امتنع عن النساء خاصة ، بل النص يدل على أنه حبس نفسه عن الشهوات ، وقدعها عن أهوائها .

الوصف الرابع : أنه نبى من الصالحين ، وفى هذا بشارة أخرى لزكريا بأن الله سيختار ابنه نبيا ؛ فإن الأوصاف السابقة فيها إجابة لدعائه ، ولكن الله سبحانه وتعالى مَنَّ عليه بأعظم مما دعا به ، وأعطاه النبوة . وقوله « من الصالحين » إشارة إلى موطن النبوة وموضع اختيارها ، والله سبحانه وتعالى أعلم حيث يجعل رسالته ، وهو سبحانه وتعالى لا يختارهم إلا من الصالحين ، فالله سبحانه يقيهم الانغماس فى الشر قبل النبوة ، ويعصمهم عن المعاصى بعدها .

٦ — استمع زكريا إلى تلك البشارة الإلهية ، فاعتراه العجب ، لما كان يتنازعه من عامل الرجاء وعامل اليأس ، فقال : « قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ » :

« أنَّى » هنا بمعنى كيف ، فهو يعجب من الحال ، ولا يصح أن تكون بمعنى « من أين » لأن الله سبحانه وتعالى أخبر أنه سيعطيه الولد ، فلا يليق أن يسأل من أين ، إنما العجب من حال العطاء مع حاله هو وامرأته ؛ ولذا كانت الجملة من بعد ذلك جملة حالية صُدرت بواو الحال ، فقال « وقد بلغنى الكبر ، وامرأتى عاقر » كان وجه العجب من ناحيتين : الناحية الأولى : أنه شيخ فانٍ قد أصابه الكبر بما فيه من ضعف ، والثانية أن امرأته عاقر لا تلد ، والعقر يوصف به الرجل والمرأة ، فيقال رجل عاقر ، وامرأة عاقر أى بينة العقر ، والعُقْر مصدر عَقُرَ يعقر عُقْراً . ويظهر أن امرأته مع شيخوختها كانت عقيما لا تلد ، فكان العجب إذن من ثلاث نواح : شيخوختهما ، وعقرها . وقد عبر عن شيخوخته بقوله : « وقد بلغنى الكبر » ولم يقل قد بلغت الكبر وهو الظاهر ، ولكنه عدل هنا للإشارة إلى أن الكبر قد أصابه بضعفه وما فيه من آلام وأسقام وضعف . ويقول فى ذلك الزمخشرى : « وقد بلغنى الكبر كقولهم أدركته السن العالية ، والمعنى أثر فى الكبر فأضعفنى » وعلى ذلك يكون قوله تعالى بلغنى الكبر يتضمن بلوغ الشيخوخة ، وأنها أوجدت فيه ضعفا وعجزا ، ويكون هذا فى معنى قوله

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

تعالى فى سورة مريم حكاية عن زكريا : « وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا » .

٧ — وقد أجابه سبحانه وتعالى بما يزيل عجبه ، ويمنع حيرته ؛ وذلك بأن بين أن الله تعالى فوق السنن الكونية وفوق الأسباب فى الخلق ، لأنه خالق الأسباب ؛ فقال تعالى :

« كَذَلِكَ اللهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ » :

أى مثل ذلك الذى رأيته من أن يكون لك وأنت شيخ وامرأتك عاقر ، يفعل الله تعالى ما يشاء ، أى أن الله سبحانه يفعل بمشيئته واختياره غير مقيد بالأسباب والمسببات والعادات وأحوال الناس ؛ لأنه سبحانه وتعالى خالق الناس ، وخالق الأسباب ، وخالق مجارى العادات التى تجرى بينهم . فالإجابة لا تتضمن فقط إزالة تعجب زكريا عليه السلام بل تتضمن مع ذلك تقرير قضية عامة ، وهو أن الله يفعل ما يفعل باختياره وإرادته غير مقيد بأى قيد إنه سبحانه فعّال لما يريد .

ولماذا كان ذلك الخارق ، وما يجىء بعده ؟ الجواب عن ذلك أن هذا لأن بنى إسرائيل كانوا لا يؤمنون إلا بالجسد ، إذ كانوا يفسرون كل شىء تفسيرا ماديا ، وقد سادت عندهم الفلسفة المادية ، وكثر بينهم القول بأن الأشياء تنشأ عن العقل الأول نشأة المسبب عن السبب أو المعلول عن علته ، فكان لابد من صادع يقرع حسهم بحادث من هذا الصنف الذى تتخلف فيه فلسفتهم ، فيوجد المسبب من غير سبب فيدل هذا على أن المنشىء فاعله مختار يفعل ما يريد ، وهو اللطيف الخبير ؛ ولذا قال سبحانه « كَذَلِكَ اللهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ » .

٨ — ولقد أراد نبى الله زكريا أن يعلم الوقت الذى تبتدىء فيه هذه البشارة أن تتحقق ، وأن تقوم آية تدل على الحمل كما يقول بعض المفسرين فقال كما حكى الله عنه:

« قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا » :

فى تفسير هذا النص الكريم اتجاهان :

أولهما : أن سيدنا زكريا عليه السلام طلب علامة تدل على موعد الحمل ، فقال : « اجعل لى آية » أى علامة أعرف منها موعد الحمل ، فقال له ربه : آيتك أى علامتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا ، أى لا تستطيع أن تكلم الناس إلا بالرمز والإشارة ، وأن تستطيع ذكر الله ، فاذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والإبكار ، أى فى المساء ، وفى الصباح من وقت الفجر إلى الضحى ، وقد وضح هذا الاتجاه الزمخشرى فقال : « آيتك ألا تقدر على تكليم الناس ثلاثة أيام ، وإنما خص تكليم الناس ليعلم أنه يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة مع إبقاء قدرته على التكلم

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

يذكر الله ؛ ولذلك قال : واذكر ربك كثيرا ، وسبح بالعشى والإبكار ، يعنى فى أيام عجزك عن تكليم الناس ، وهى من الآيات الباهرة . فإن قلت لم حبس لسانه عن كلام الناس ؟ قلت ليخص المدة بذكر الله لا يشغل لسانه بغيرها ، توفرا منه على قضاء حق تلك النعمة الجسيمة ، وشكرها الذى طلب الآية من أجله ، كأنه لما طلب الآية لأجل الشكر قيل له آيتك أن تحبس لسانك إلا عن الشكر . وأحسن الجواب وأوقعه ما كان مشتقا من السؤال ومنتزعا منه » .

هذا هو الاتجاه الأول . وأساسه أن ثمة أمرا آخر خارقا للعادة ، وهو عجزه عن كلام الناس مع قدرته على الذكر .

أما الاتجاه الثانى ، فأساسه غير ذلك ، إذ أن معنى النص الكريم على هذا الاتجاه أن زكريا شعر بإكرام الله تعالى إكراما خصه به ، وكانت آية ذلك الإكرام بين الناس أنه قد أنجب من عاقر ومجوز ولدا ، وقد بلغ من الكبر عتيا ، فدعا ربه أن يجعل له بين الناس آية تدل على عظيم شكره ، وأن يُخْتَص من بين الناس بهذا الشكر ، ليعلم الناس علامة شكره كما علموا علامة إكرامه ، فقال سبحانه « آيتُكَ ألاَّ تُكَلِّمَ الناسَ ثلاثةَ أيَّامٍ إلاَّ رَمْزًا » بأن تحبس أنت لسانك عن حديث الناس وتجعله خاصاً لله ثلاثة أيام لذكره وتسبيحه طرفى النهار وزلفاً من الليل ، فهذه آية شكر فى نظير آية إنعام ، وقد يزكى ذلك الاتجاه أنه لا دليل فى الآية على العجز عن الكلام ، فما قال تعالت كلماته ألا تستطيع الكلام ، بل قال : « ألا تُكَلِّم الناس » وإضافة عدم الكلام إليه يدل بظاهره على أنه امتنع اختيارا لا اضطرارا ، وأن الأنسب بشكر النعمة أن يكون امتناعه عن كلام الناس بالكف عنه ، لا بالعجز عنه ، فإن الأول اختيارى يعد شكراً ، والثانى غير اختيارى يعد عجزاً ، وإن سياق القصة فى سورة مريم أظهر فى الدلالة على الاختيار دون الإجبار إذ يقول سبحانه : « قالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا . فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا » .

وقد كان الدعاء بطلب الولد فى المحراب وإجابته فوره كما نوهنا ، وكانت المجاوبة فيه أيضا ، فخرج إلى الناس ينفذ طلب ربه فى أن يحبس وهو مختار لسانه عن غير ذكر الله تعالى ، ويعتزم العكوف على الذكر والتسبيح ويدعو الناس إليه بالرمز والإشارة ، لا بالكلام والعبارة . وإن هذا الاتجاه لاينكر الخوارق ، ولكنه ليس فى الآية ما يدل على الخارق ، ويعتبر

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

من مرشحات شكر النعمة أن يكون ترك كلام الناس اختيارا . وفوق ما تقدم فإن عطف قوله تعالى : « واذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً وسَبِّحْ بالْعَشِيِّ والإبْكَارِ » . يقتضى أن يكون قوله تعالى « ألاّ تُكَلِّمَ الناسَ . . . . » جملة طلبية ؛ لأن الجملة الطلبية لا تعطف إلا على مثلها ، وإذا كان الامتناع عن كلام الناس طلبا من الله العلى القدير ، فهو اختيارى من المكلف وليس حبسا وعجزاً ، أما إذا كان خارقا فهو إخبار وليس بطلب .

٩ — وهنا بعض عبارات نفسرها لفظيا:

الأولى كلمة « إلا رَمْزاً » قد جاء فى تفسير الزمخشرى : « إلا إشارة بيد أو رأس أو غيرها ، وأصله التحرك ، يقال ارتمز إذا تحرك ، ومنه قيل للبحر الراموز ، وقرأ يحيى بن وثاب إلا رُمُزاً بضمتين جمع رَموز كرسول ورسل ؛ وقرىء رَمَزاً بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم .

والثانية : كلمتا بالعشى والإبكار؛ فالعشى من حين تزول الشمس إلى أن تغيب ، والإبكار من طلوع الشمس إلى وقت الضحى .

والثالثة : كلمتا ذكر وتسبيح ؛ فإن الذكر معناه أن يستحضر الإنسان عظمة ربه ، وينطق بها لسانه ، والتسبيح معناه التنزيه المطلق لله سبحانه وتعالى ، وقد كان طلب الذكر والتسبيح فى هذا المقام مناسباً لتلك النعمة التى أسداها لعبده ونبيه زكريا عليه السلام ؛ فإن سيادة المادية فى بنى إسرائيل وطغيانها على الروح أنساهم ذكر الله ، وسيادة الفلسفة المنكرة للإرادة جعلهم لا ينزهون الله تعالى ، فدعا ربه لأن يقوم بهذا الأمر الذى فيه استذكار كل معانى الألوهية وانصراف بالكلية للنواحى الروحية . وفى التسبيح إدراك لله وتنزيه له عن العلية ؛ ولذا اتخذ زكريا من هذا الخارق للعادة بإنجابه ولداً سبيلا لأن يدعوهم إلى التسبيح وهو التنزيه عن العلية والسببية وكل ما لا يليق بذات الله تعالى ، وأن يتركوا ما هم عليهم من ماديات وفلسفة تنكر الإرادة لرب العالمين ، فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشياً .

الفتح الربانى

يضطلع المحدث الفاضل الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا من زمن بعيد بترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل وشرحه . وقد وفقه الله فى مهمته خير توفيق ، فرتبه ترتيبا محكما ، وشرحه شرحا وافيا ، وسماه « الفتح الربانى لترتيب مسند الإمام أحمد ابن حنبل الشيبانى » وقد أهدى إلينا الجزء الثامن عشر منه ، فألفيناه مرتبا أحسن ترتيب ، ومشروحا أوفى شرح .

فنشكر لفضيلته هديته ، ونرجو له التوفيق والسداد .

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

عبد الوهاب حمودة

حكم الإسلام في الشكوك والوساوس

روى مسلم وأبو داود عن أبي هريرة رضى الله عنه :
أن أناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوه :
إنا نجد فى أنفسنا مايتعاظم أحدنا أن يتكلم به ؟ قال : « أوَقد وجدتموه ؟ » قالوا : نعم . قال : « ذاكَ صريحُ الإيمان » .

ذهب ناس من الصحابة رضوان الله عنهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتونه فيما يجدون فى أنفسهم من الخواطر والأحاديث الشيطانية فى أمر الدين ، وأنهم يستعظمون ذلك وينكرونه ولا يستطيعون التلفظ به ، ولم يجرؤ أحد من الصحابة أن يصرح بأعيان تلك الخواطر التى اعترتهم حتى بلغت بهم شدة الحذر من ذلك مبلغا يفسره لنا حديث ابن عباس عند أبى هريرة ؛ قال : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله إن أحدنا ليجد فى نفسه مايود لأن يكون حُممة[1] أحب إليه من أن يتكلم به .

ولكن النبى صلى الله عليه وسلم وقد بعث ليعلم الناس كل مايعنيهم من أمر دينهم لم يجد حرجاً أن يذكر لنا بصريح العبارة مثالا مما يجده الناس فى صدورهم ، فقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان عن أبى هريرة «يأتى الشيطانُ أحدَكم فيقول : مَن خلق كذا ؟ مَن خلقَ كذا ؟ حتى يقول له مَن خلق ربك ، فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولْينته » .

أما قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى معنا « أوَقد وجدتموه ؟ » فهو استفهام تقريرى ؛ أى أقد كان ذلك الوسواس ، وقد وجدتم منه فى صدوركم هذا الانقباض والاشمئزاز ؟ يشير صلى الله عليه وسلم إلى أنه كان من المتوقع حدوث

(١) الحممة بضم ففتح : واحد الحمم وهو الفحم وكل ماالحترق من النار .

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

الوساوس للمؤمنين على هـذا الوجه ثم لا تنشرح لها صدورهم .

أما قوله صلى الله عليه وسلم « ذاك صريح الإيمـان » فهاهنا مرجعان لاسم الإشارة بحسب اللفظ ؛ فإن كان المشار إليه هو إنـكار هـذه الخواطر واستعظامها والخوف من النطق بها فضلا عن اعتقادها ، فلا شبهة فى أن ذلك من علامات صحة الإيمان ، وخلوصه من شوائب الشكوك والأوهام .

أما إن كان المشار إليه هو حدوث تلك الوساوس كما هو ظاهر مسلم عن ابن مسعود قال : « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوسوسة فقال تلك محض الإيمان » فربما عد من المشكل المحتاج إلى بيان ، إذ كيف تـكون الوسوسة محض الإيمان ، أو علامة محض الإيمان .

وبيان ذلك أن الوجدانات التى تعترى المرء فى المسـائل الاعتقادية على ضربين :

أحدهما : ضار ، بل خطر يهدم بنيان الإيمان ، وهو ما كان بشبهة معينة توجب ريبة فى أصل من أصول الدين ، ولم تجد النفس حلا لتلك الشبهة ، بل وجدت من العقل تأميناً عليها ، ومن القلب ركونا إليها . فهذا الضرب لانسميه وسوسة ، بل يسمى إغواء وتضليلا ، أو غيًّا وضلالا ؛ وذلك هو سلطان الشيطان الذى يقول الله تعالى فيه : « إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ » .

روى مسلم فى صحيحه عن جابر أنه سمع النبى صلى الله عليه وسـلم يقول : « يبعث الشيطان سراياه فيفتنون الناس ، فأعظمهم عنده منزلة أعظمهم فتنة » .

وروى أيضا عن عائشة رضى الله عنها قالت : « يارسول الله أومعى شيطان ؟ قال : نعم . قلت ومع كل إنسان ؟ قال : نعم . قلت : ومعك يارسول الله ؟ قال : نعم : ولـكن ربى أعانى عليه حتى أسلم » .

والثانى : وهو المسمى بالوسوسة أو حديث النفس ، وهو مالم تجتمع فيه تلك الصفات ، بل تجرد منها كلا أو بعضا ، فذلك ليس إلا نزعة أو إلمامة وقتية يلقيها الشيطان فى أمنية الإنسان ثم لاتلبث أن ينسـخها الله من صحيفة صـدره ويربط على قلبه : « إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ . وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ » .

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

إذا تقرر هذا استطعنا أن نفهم معنى كون الوسوسة فى الإيمان علامة الإيمان ؛ ذلك أن الوسواس الخناس متى آنس من قرينه استعداداً لقبول الشبهات ساقها إليه تترى ، واسترسل معه فيها حتى يغويه ويضله ، فعدم استرساله معه دليل على أنه أيس من إغوائه ، وأنه وجد فيه من المناعة مايحميه من سلطانه ، وهى من هذه الجهة نعمة يحمد الله عليها .

بل إننا إذا أنعمنا النظر فى حكمة ابتلاء المؤمنين بهذه الزلازل السطحية وجدنا فيها كثيراً من الذكرى والتبصرة ، فإنما يريد الله بها أن يصهر قلوبهم بنار الخوف على إيمانهم ليزدادوا حرصا عليها والتجاء إلى الله فى حفظها ، فهو سبحانه الذى بيده مفاتيح القلوب ومغاليقها يقلبها كيف يشاء .

فإذا عرف المؤمن ذلك ازداد اتهاما لنفسه ، وتأدبا مع ربه ، فلا يشمخ بأنفه ، ولا يمن على الله بإيمانه ، بل تكون هذه تذكرة له بسالف نعمة الله عليه إذ هداه من قبل إلى الإيمان ، وتبصرة له بدوام حاجته إلى ربه فى عصمته وتلبيته ، فيزداد التجاء إليه ، وحذراً من مكره ، وبراءة من حول نفسه وقوته إلى حول الله وقوته ، ويقول كما قال إبراهيم عليه السلام : « لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ » أو كما يقول الراسخون فى العلم « رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ؛ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ » .

حتى إذا انكشفت عنه تلك الغمة وسُرِّى عنه ما كان يجده قال « الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله » .

وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم : « اللهم فاطرَ السموات والأرض عالمَ الغيب والشهادة ربَّ كل شىء ومليكه ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أعوذ بك من شر نفسى وشر الشيطان وشركه . اللهم إنى أسألك العفو والعافية فى دينى ودنياى وأهلى . اللهم لاتؤمنى مكرك ، ولا تولنى غيرك ، ولا تنزع عنى سترك ، ولا تنسنى ذكرك ، ولا تجعلنى من الغافلين . اللهم إنى أسألك إيمانا لايرتد ، ونعيما لاينفد ، وقرة عين الأبد » .

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

محمد الخضر حسين

العرب والسياسة

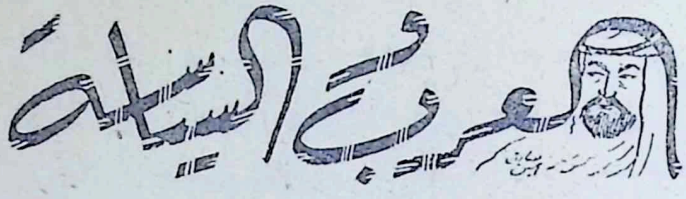

كثر القول بين المستشرقين ومن نقل عنهم ، بأن ابن خلدون يذم العرب ويتنقصهم ، وينفى عنهم القدرة على سياسة المُلك والنهوض بأمر الرعية ، وأطلقوا هذا القول إطلاقا لم يفرقوا فيه بين حياتهم الجاهلية وحياتهم الإسلامية . وأذكر أنى حين كنت فى ألمانيا أيام الحرب الأولى حضرت حديثاً يدور بين مدير الاستخبارات الألمانية وسكرتيره أثناء سفرنا إلى قرية ويزندرف ، سألنى المدير فى نهايته فقال : أليس كذلك يقرر ابن خلدون ؟ قلت وماذا يقرر ؟ قال : « إن العرب لا يصلحون للملك ، ولا يحسنون حكما للأمم » قلت : إنما خص ذلك بعهد الجاهلية ، وقرر أنهم فى الإسلام أحسنوا السياسة ، وقاموا بأعباء الملك خير قيام ، وقد بين ذلك غاية البيان فى فصل عقده فى مقدمته ذكر فيه أن العرب أبعد الأمم عن سياسة الملك ، فقال : « بعدت طباع العرب لذلك[1] كله عن سياسة الملك ، وإنما يصيرون إليها بعد انقلاب طباعهم وتبدلها بصبغة دينية تمحو ذلك منهم ، وتجعل الوازع لهم من أنفسهم ، وتحملهم على دفاع الناس بعضهم عن بعض ؛ واعتبر ذلك بدولتهم فى الملة ؛ لمّا شيد لهم الدين أمر السياسة بالشريعة وأحكامها المراعية لمصالح العمران ظاهراً وباطنا ، ، وتتابع فيها الخلفاء ، عظم حينئذ ملكهم ، وقوى سلطانهم » :

فابن خلدون حكم على العرب بالبعد عن سياسة الملك عندما كانت طباعهم الجاهلية لا تلائم الملك ، ولكن لما بدل الإسلام طباعهم الخشنة بطبائع ليِّنة ، مارسوا الملك بسياسة رشيدة ، ونهجوا فى الحكم أقوم نهج ، وسلكوا أعدل سبيل ، فعظم ملكهم وقوى سلطانهم .

ويحسن أن نشير هنا إلى أن سياسة المُلك هى : التصرف فى الوقائع العامة على حسب مقتضى أحوال العصر الذى يعيش الناس فيه . والبراعة فى السياسة وملاءمتها

(١) يشير بذلك إلى ما قدمه من بداوتهم وخشونة حياتهم وامتناع طباعهم على الخضوع لحاكم .

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

لهذه المقتضيات تتوقف على ذكاء وافر ، وحلم واسع منضبط ، وعزم صارم فى إنفاذ العقوبة فيمن يستحقها .

أما الذكاء فقد كان موفورا لهم ، ومن دلائله : لغتهم التى نزل بها القرآن على ما يستعملونه من حقيقة ومجاز واستعارة وكناية وتعريض . وأما الحلم والعزم ، فقد لازمهم النقص فيهما زمن الجاهلية فكانوا يقتلون القوى بالضعيف ، والجماعة بالواحد ، والحر بالعبد ، والذكر بالأنثى ، ويعتدى أحدهم أشد مما اعتُدى عليه ، حتى قال بعضهم :

أَلاَ لاَ يجهلَنْ أحدٌ علينا
فنجهلَ فوقَ جهل الجاهلينا

وكان رئيسهم يشعر بالحاجة إلى العصبية لكل من يقوم بنصرته ظالما أو مظلوما ، فيكف يده عن معاقبة المعتدى إذا كان من قبيلته خشية أن يخذله هو وأقاربه ؛ وشأن العرب بل الناس ألا يحكموا على أبيهم وأقاربهم بالاعتداء على الحقوق ، وشأنهم أن ينسبوا إلى عدوهم الاعتداء .

فلما جاء الإسلام سلك سبيل الرشد فى ذلك كله ، فنهى الله سبحانه وتعالى من اعتُدِى عليه عن أن يعتدى بأكثر مما اعتدى به عليه ، فقال تعالى : « فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ » وأَذِنَ للمعتدَى عليه بأن ينتقم ممن اعتدى بمثل اعتدائه ؛ قال تعالى : « وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا » وحث على العدل دائماً ، فقال تعالى : « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ » .

وندب الإسلام إلى الحلم عمن صدر منه الزلل مراعاة لمكارم الأخلاق ؛ فمن أغضى عن زلل معتدٍ فقد قضى حق مكارم الأخلاق ، ومن اعتدى بمثل ما اعتدى به عليه فقد قضى حقَّ نفسه . وقد قال الخليفة المأمون : لو علم الناس ما أجده من لذة العفو لتقربوا إلينا بفعل الجنايات . لكن إذا علم الإنسان أن قصد من اعتدى عليه إذلاله ومهانته ، فذلك موضع العمل بقوله تعالى : « وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ »

ومعرفة موضع الانتقام من موضع الحلم يرجع إلى الذكاء المهذب ، كما قال الشاعر :

يقولون رفقاً قلتُ للحلم موضعٌ
وحلم الفتى فى غير موضعه جهل

ومن صفات من يتولى سياسة الناس أن يكون شجاعاً حتى يكون قادرا على إنفاذ العقوبة فيمن وجبت عقوبته ، فقد يكون مرتكب الكبيرة شديدا بنفسه أو بأنصاره فلا ينفذ فيه العقوبة إلا شجاع

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

قوى . وكانت الشجاعة من أظهر صفات العرب فى الجاهلية والإسلام ؛ ومن دلائل ذلك الحروب المتواصلة بين القبائل ، وعجز الدول الكبيرة عن الاستيلاء على بلادهم إلا أطرافا اقتطعت أيام المناذرة فى العراق وأيام الغساسنة فى الشام .

ومن اجتمعت فيه صفات السياسى البارع من ذكاء وحلم وشجاعة وعزم على إنفاذ العقوبة فى الجناة ، لزمه أن يتخذ رجالا أقوياء ، كما قال الشاعر فى مُعز ابن باديس :

وإنَّ ابنَ باديسٍ لأكبرُ حازم
ولكن لعمرى ما لديه رجال

فلم يخذل ابن باديس إلا من جهة أنه ليس له رجال يقومون بمساعدته ومديد المعونة له وشد أزره .

واستطرد ابن خلدون فى تحليل أخلاق الساسة فذكر أنه قلما تكون ملكة الرفق فيمن يكون يقظا شديد الذكاء ، وكثيرا ما يوجد الرفق فى الغُفْل والمُتَغَفِّل ؛ وأكثر ما يكون فى اليقظ أن يكلف الرعية فوق طاقتهم ، لنفوذ نظره فيما وراء مداركهم ، واطلاعه على عواقب الأمور فى مبادئها بألمعيته ، فيهلكوا ؛ ولذا اشترط الشارع فى الحاكم قلة الإفراط فى الذكاء . وفى قصة زياد بن أبيه دليل على هذا ، وهى : أنه لما عزله عمر عن العراق ، قال : لم عزلتنى يا أمير المؤمنين ؟ ألعجز أم خيانة ؟ فقال عمر : لم أعزلك لواحدة منهما ، ولكن كرهت أن أحمِلَ فَضْلَ عقلك على الناس . فيؤخذ من هذا أن الحاكم لا يكون مفرط الذكاء والكيس كزياد وعمرو . وفات ابن خلدون أن التاريخ الصحيح ذكر أن عمرو بن العاص فتح مصر وبقى والياً عليها حتى توفى عمر رضى الله عنه . فعلمنا مما سبق أن الشريعة إنما كرهت ولاية المفرط فى الذكاء لأنه يحمل الناس على ما يدرى فى العواقب من الحقائق فيعنف بهم ، على حين أن الحال توجب حملهم على ما يقتضيه عصرهم الحاضر كما قال صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها : « لولا أن قومك حديثو عهد بكفر لبنيت الكعبة على قواعد إبراهيم »

فالإسلام أخرج العرب من بداوتهم ، وأنشأ منهم أمة صالحة السياسة ، مصلحة الحكم ، عادلة السيرة ، عرف منهم التاريخ مُثلا عالية فى الحكمة والرفق بالرعية ، والعدل فى الحكومة ، وهم الخلفاء الراشدون ، كما عرفت السياسة من المسلمين دهاة اشتهروا بأصالة الرأى وجودة التدبير ، كمعاوية بن أبى سفيان ، وعمرو بن العاص ، وزياد بن أبيه ، والمغيرة بن شعبة ، فذلك أثر الإسلام فى العرب ، وفضل الله بالنبوة عليهم ، وكان فضل الله عظيما .

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

جنود الله

كانت معاهدة الحديبية التى عقدها المسلمون مع أعدائهم خيراً كلها ، بل كانت فضلا من الله عظيما ، أسبغه على نبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وعلى عباده المؤمنين . فقد أثمرت تلك المعاهدة فُتوحاً ثلاثة اعتز بها الإسلام واشتد جانبه ؛ إذ فتحت خيبر ، ومكة ، وحنين ، وأفاضت هذه الفتوح الثلاثة على المسلمين من الغنائم ما تحدث عنه القرآن الكريم أحسن حديث . وقد شرحنا كيف اتصلت هذه المعاهدة بفتح مكة مهد الإسلام وموضع تقديس العرب .

ولما تم فتح مكة كانت أكثر القبائل العربية قد دخلت فى الإسلام أو حالفته ، ولم يبق إلا قبائل قليلة منها هوازن وثقيف ، وكان من سياسة النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أن يفاجئهم بفتح مكة ، فلم يتح لهم مشاركة قريش فى الدفاع عنها ، ولا بث روح المقاومة فى أهلها ، فرغبوا فى المسالمة ، ودخلوا فى الإسلام الذى تهيأت له نفوسهم ، فأكل الغيظ قلوب هذه القبائل ، وانطوت صدورهم على ضرام من نار ، وأرادوا أن يعاجلوا النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بمكة قبل أن ترسخ قدمه فيها ، ويثبت دينه فى نفوس سكانها ؛ فاجتمع أشراف هذه القبائل من هوازن وثقيف وغيرهم ، وأخذوا يتشاورون فى أمرهم ، فقال بعضهم لبعض : قد فرغ محمد من قتال قومه ولا ناهية له عنا ، فلنغزه قبل أن يغزونا ، وأجمعوا على قتال الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ، وتجمعت خيولهم وأموالهم ، ودخل فى هذه الجموع بنو سعد بن بكر ، وهم الذين كان النبى مرتضعاً عندهم ، وبنو جشم وفيهم دريد بن الصِّمَّه وقد جاوز المائة ، وحملوه معهم لرأيه ، فأخذ يقول :

يا ليتنى فيها جذع أخبُّ فيها وأضع

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

ولكن لله فى كل شىء آية ، فقد اختلف قائدهم مالك بن عوف ، وهو ابن ثلاثين ، مع دريد بن الصمة ، وهو شيخ هِمٌّ قدحنت ظهره السنون ؛ قال مالك : احملوا معكم إلى الحرب كل شىء : المواشى والأموال والنساء والأبناء كى يثبت المقاتلون ولا ينهزموا ، إذ يشعر كل مقاتل أنه يحمى ذماره ويذود عن حسبه . وأشار دريد برد الذرية والأموال فلم يقبل القائد ، ورماه بضعف الرأى لكبر سنه ، وكان لهذا الخلاف أثره فى نفوس القوم ، فتفرقت عقيدتهم ، وتوزعت قلوبهم ، ولكنهم مع ذلك عالجوا أمرهم ، فبثوا كتائبهم فى الشعاب والمضايق والأحناء المحيطة بوادى حنين . وكان جيش الرسول كثير العدد ، إذ خرج معه اثنا عشر ألفاً ، وأخذ المسلمين الزهو بكثرتهم ، فربما نظر بعضهم إلى بعض وهم يقولون : لن نغلب بعد اليوم من قلة . وفى ذلك يقول الله تعالى : « وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً ، وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ . ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ » . وكان من سياسة القوم أن يأخذوا المسلمين مباغتة ويلقوهم مفاجأة ، فبينما هذا الجيش الضخم من المسلمين فى طريقه بوادى حنين ، انفرجت الجبال والشعاب والمضايق عن كتائب المشركين ، وأخذت جيش النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من كل جانب ، فارتاع المسلمون وانهزموا بكل طريق ، لا يلوى أحد منهم على أحد ، ولم يبق فى الميدان إلا رسول الله فى بضعة نفر من المسلمين الأولين ، وكان صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ينادى فى الناس : أيها الناس ! هلمَّ إلىَّ ! أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله . وقد ضربت الهزيمة على أسماع الناس فهم لا يسمعون . ولما رأى النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم انكشاف أصحابه وتدافع المشركين عليه ، نزل عن دابته وشد على الهاجمين ، وصال فيهم يميناً وشمالاً وهو يقول :

أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وتجلت مواهبه ومامنحه الله من شجاعة وصولة ، إذ توجه نحوه عدوه ، لا يخشى بأساً ولا يخاف سطوة ، وهى منزلة فى الوثوق بالله والإيمان به لا تتفق إلا لنبى الله ومجتباه .

ولم تذهب شدة الموقف حكمة الرسول ولا مسَّت صوابه ، فأرسل ينادى فى المسلمين : يا معشر أصحاب السَّمُرة (شجرة الرضوان) فأقبلوا فى إثر بعض ، واستبسلوا حول رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وهنا أرسل الله جنوده من الملائكة على المؤمنين ، فبثت فى قلوبهم السكينة ، فعادوا وهم أحمى قلباً ، وأمضى عزماً ، وأقوى

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

بأساً من كل موقف سلف ، وكل موقعة مضت .

وأخذ النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حفنة من تراب فرمى بها فى وجوه المشركين وهو يقول : « شاهت الوجوه » فلم تبق عين إلا دخل فيها من ذلك التراب ، وأنزل الله : « وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلٰكِنَّ اللهَ رَمَى » . فكأن القوم كانوا جذوعاً خاوية ، وأخذت سيوف المسلمين تنوشهم من كل صوب وكل جانب ، حتى فر منهم من فر ، وقتل من قتل ، وتركوا من السبايا أكثر من ستة آلاف ، بين امرأة وغلام ، وتركوا من السلاح والمال والدواب والأنعام والميرة والطعام ما لا عدَّ له ، وكان النصر إيذاناً بانقضاء قوة الجاهلية ، وأنزل الله قوله تعالى : « ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا ، وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ، وَذٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ » .

وقد وصف أصحاب السير غنائم حنين وأحصوها ، فكانت من الكثرة بحيث أعطى رسول الله من الخمس ١٤٨٥٠ ، وليس يعنينا هنا أن نسهب فى وصف هذه الغنائم ، ولكن يعنينا أن الرسول لم يعط الأنصار منها شيئاً ، فوجدوا فى نفوسهم ، ولكن الله علَّم رسوله كيف يتألف القلوب النافرة ، ويجمع النفوس الشاردة ، إذ جاءه الأنصار وقالوا يا رسول الله أعطيت الغنائم لأهل مكة ولم تعطنا منها شيئاً . فقام رسول الله فحمد الله وأثنى عليه وقال : « يا معشر الأنصار ما قالةٌ بلغتنى عنكم ، وجِدَةٌ وجدتموها علىَّ فى أنفسكم ؟ ألم آتكم ضُلاّلاً فهداكم الله ، وعالة فأغناكم الله ، وأعداء فألف بين قلوبكم ؟ قالوا : بل الله ورسوله أمَنُّ وأفضل .

ثم قال : ألا تجيبونى يا معشر الأنصار ؟

قالوا : بماذا نجيبك يا رسول الله ؟ لله ورسوله المن والفضل .

قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « أما والله لو شئتم لقلتم ولصدقتم : آتيتنا مكذَّبا فصدقناك ، ومخذولا فنصرناك ، وطريدا فآويناك ، وعائلا فآسيناك ، أوجدتم يا معشر الأنصار فى أنفسكم من لُعاعة (النبت أول ما يبدو وهو ناعم) من الدنيا تألفتُ بها قوما ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم ، ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ! ولو سلك الناس شِعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار ! اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار » . فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا : رضينا برسول الله قسما وحظا .

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

ثم انصرف رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وتفرقوا

بهذه الكلمات العذبة التى سلكت إلى قلوب الأنصار كل مسلك ، وأخذت من شعورهم كل مأخذ ، وبهذا العقل الجميل والعمل الحكيم ، ساس الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أصحابه ، فثبت أقدامهم ، وقوى ضعفهم . فمن أغناه إيمانه فهو موكول إليه ، ومن طمع فى أعراض الدنيا آتاه منها ، ثم إذا زاد إيمانه وصفت نفسه وطلب حظوظ الآخرة فالله ذو فضل على العالمين . والقائد الحكيم هو الذى يزن الأمور بميزانها ، ويضعها فى نصابها ، ويعرف خبايا النفوس وما ترغب فيه ، ويتعمق الضمائر وما تطويه ، ليعالج كل نفس بما يصلحها ، ويعطى كل ضمير ما يرضيه . ومن أحق بذلك ممن عُلّم ما لم يعلم ، وكان فضل الله عليه عظيما .

تبادل الفريقان فى هذه الغزوة من سياسة الحروب ضروباً كثيرة ؛ منها ترتيب الصفوف ، وتوزيع السريات ، وإرسال الجواسيس . وكان للرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم القدح المعلى فى هذا كله . فقد أرسل مالكُ بن عوف قائد جيش المشركين ثلاثة نفر من الجواسيس ينظرون إلى جيش المسلمين ، فرجعوا خائفين ، ونصحوا بالعودة ، فرماهم بالجبن وحبسهم عنده مخافة أن يشيع ذلك فى جيشه . وأرسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رجلا من أصحابه (عبد الله بن أبى حَدْرد الأسلمى) وأمره أن يدخل فى جيش العدو ويسمع منهم ما أجمعوا عليه ، فمكث يوماً أو يومين ، ثم أتى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأخبره أنه انتهى إلى خباء مالك بن عوف وعنده رؤساء هوازن فسمعه يقول لأصحابه : إن محمداً لم يقاتل قط قبل هذه المرة ، وإنما كان يلقى قوماً أغماراً لا علم لهم بالحرب فيظهر عليهم ، فإذا كان السحَر فصفوا مواشيكم ونساءكم وأبناءكم من ورائكم ، واحملوا حملة رجل واحد ، واعلموا أن الغلبة لمن حمل أولا . ولكن المسلمين حملوا عليهم فانكشفوا ، ثم شغل المسلمون بالغنائم فاستقبلهم العدو بالسهام ، فعادوا منهزمين . وكذلك كان أمرهم فى غزوة أحد ؛ فإنهم لما رأوا العدو ولى هاربا اشتغلوا عن الحرب بجمع الغنائم ، وفارق الرماة المكان الذى أمر النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالبقاء فيه ، فانكشف المسلمون وكر عليهم خالد بن الوليد ، وكانت هناك الهزيمة . فما أشبه هذه بتلك لولا أن الله قيض لرسوله جنوده فى هذه المرة ، وأنزل عليه سكينته ، فكانت العاقبة للمسلمين ، وتم

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

بهذا النصر من إعلاء كلمة الله وإظهار شوكة الإسلام ما كان له حديثه الخالد وأثره العظيم .

والعبرة فى هذا كله أن المبادىء القويمة والمثل العليا للفضيلة ، تحتاج إلى كفاح وجلاد ، وصبر وثبات ، وحماية وقوة ، وأن التهاون فى أمرها والضعف فى الدفاع عنها يجعلها فى خطر ، ويعرضها للهوان ، ويقتلها فى مهدها ، فلا تشب ولا تنمو .

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى
حتى يراق على جوانبه الدم

وهى أشد حاجة إلى الإخلاص والتضحية ، والإعراض عن مباهج الدنيا وزينتها ، ونسيان النفس فى سبيلها ؛ فما أفلح قوم جعلوا نُصْب أعينهم حيازة الغنائم واختطاف الأسلاب . وقد ضرب الله برسوله أقوى مثل فى الزهد والعزوف عن الأغراض الدنيوية ، ولما خالفه بعض أصحابه لأمر قدره الله حلت بهم الهزيمة ، وحقت عليهم كلمة الله ، ولولا أن الله كتب لرسوله أن يظهر ولدينه أن ينشر لساءت العاقبة ، ولكن الله أدركهم بجنوده وأيدهم بنصره ليتم نوره ولو كره الكافرون .

وأبلغ من هذا أن الغرور طريق البوار ، والانخداع بالقوة سبيل الخذلان ، وأن العدو الباغى الذى لا يرقب فى الله إلاًّ ولا ذمة لا مفر له من الله ، وسيأخذه الله أخذ عزيز مقتدر . فالمسلمون حين أعجبتهم كثرتهم لم تغن عنهم شيئاً ، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، ثم ولوا مدبرين ، وأخذهم بغرورهم ، وجازاهم بصلفهم ، ثم ردهم إلى إيمانهم ، وأرسل لهم جنوده ، وما يعلم جنود ربك إلا هو . وأعداؤهم حين بغوا واستفزهم الطغيان أخذهم بذنوبهم ، وما كان لهم من الله من واق . وهذه عاقبة من يفسد فى الأرض ولا يألو الناس خبالا ؛ يأخذه الله بطغيانه ، ويستأصله بفساده ، فلا ترى له من باقية «وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ»

إذا . . .

- إذا اشتبه عليك أمران فاجتنب أقربهما من هواك .
- إذا قبح السؤال حسن المنع .
- إذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون .
- إذا لم تستطع فاصنع ما شئت .

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-sale

حسن الخطيب

واجب العرب نحو المغرب العربي

١ — نحدثك فى هـذا المقام عن أمة نجلّتها[1] مجادة الآباء ، ونماها كرم النجار ، وطيب الأرومة ، وأنبتتها العروبة ، وزكاها الإسلام ، وطهر قلوبها ووجدانها الإيمان ، وحرر عقولها وصايا القرآن ؛ تلك هى أمة العرب والإسلام : خرجت تنشر دين الله ، وترفع لواء الإسلام ، وتحمله نور هدى وعلم وعرفان ، إلى كل أمة ، وكل مكان .

كان ذلك أول بدء فى بلاد العرب نفسها ، ثم انتقل أبطالها المجاهدون إلى العراق والشام ، وفارس وما وراءها شرقاً ، حتى حدود الهند والصين . كذلك ولّوا وجوههم شطر مصر ، ثم بلاد المغرب العربى (شمال إفريقية) ، وما زالوا كذلك حتى عبروا المضيق إلى الأندلس ، وركبوا بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) إلى جزائره ، وبخاصة جزيرة صقلية ، فنقلوا إليها الإسلام ومدنيته الفاضلة ، وحضارته القائمة على العمل للدين والدنيا معا ، حتى صارت عواصم الأقطار التى دخلوها ، ومدنها الكبرى ، منار إشعاع للدين الحق ، والحكم الصالح ، والمدنية الفاضلة ، والحضارة النافعة لبنى الإنسان ، والبشرية جمعاء .

مُلْك لم تشيده على بغى وعدوان ، أو على حب سيطرة وقهر واستعلاء ، إنما أرادت به تحقيق ثلاثة أهداف نبيلة ، وثلاثة مقاصد شريفة :

الأول — نشر العقيدة الصحيحة : عقيدة التوحيد الخالص ، وتطهيرها من لوثة الشرك والوثنية ، فليس للعباد إلا رب واحد ، يخصونه بالقصد والتوجه ، والعبادة والاستعانة ، ولا تصلحهم إلا شريعة عادلة

---

(١) من نجله أبوه : ولده .

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

مثالية ، يسعدون بها ، هى التى أوحى بها إلى عبده ورسوله محمد بن عبد الله ، صلوات الله وسلامه عليه .

الثانى — تخليص الأمم مما كانت ترزح تحته من أثقال الظلم ، وأوزار البغى ، وآصار[1] الاستغلال والاستعباد .

الثالث — إقامة حكم عادل ، منبثق من أعدل الشرائع ، وأحكم القوانين : شريعة القرآن المجيد ، الذى فيه من الأحكام العادلة ، والمبادىء السامية ، والقواعد الحكيمة ، ما يوفر للناس أجمعين أسباب الأمن والطمأنينة ، والرفاغية والسعادة ؛ هذا الحكم الذى أسس على دعائم من العدل والإحسان ، والرحمة ، والشورى ، والمساواة ، وتأدية الأمانات إلى أهلها ، ومقت الاستعلاء والاستبداد ، والنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ؛ يستوى فى ذلك كله المسلمون ، وغير المسلمين من أهل الذمة .

ألا ترى إلى قوله تعالى فى سورة النساء :

« إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ، وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ » .

وإلى قوله فى سورة النحل :

« إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ، وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَىٰ ، وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْىِ ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » .

ويقول جل شأنه فى سورة الممتحنة :

« لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِى الدِّينِ ، وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ، أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ » .

وكذلك كان حكم المسلمين فى البلاد التى فُتِحت على أيديهم ، حكما قائما على العدل والمساواة بين الحاكمين والمحكومين ؛ فلا ضرر ولا ضرار . وشعارهم بالنسبة لأهل الذمة : لهم مالنا ، وعليهم ما علينا . فكان حكمهم عادلا رحيما ، وبالرعية على اختلاف مللهم ونحلهم وأجناسهم رفيقا ، حتى قال المؤرخ الاجتماعى جوستاف لوبون : « والحق أن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسالحين مثل العرب » .

٢ — ولكن انظروا — معشر العرب والمسلمين — ماذا فعل الفرنسيون حين مُنِى أهل المغرب العربى « مراكش والجزائر وتونس » بحكمهم ، وأصيبوا بدائهم ، وامتحنوا باستعمارهم القاهر البغيض . إنهم ابتزوا أموالهم ، واغتصبوا أرضهم ، وسلطوا عليهم ضروب البغى والعدوان ، واهتضموا

---

(١) جمع إصر ، ومن معانيه الثقل ، والذنب .

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

حقوقهم ، وسلبوهم حرياتهم ، ولم يُبقوا لهم من مظاهر العزة والكرامة شيئاً ، حتى إذا تنادى أهل المغرب العربى بمراكش والجزائر بحقوقهم ، وصاحوا صيحة الحرية والعزة ، يريدون تقرير مصيرهم ، وحكم أنفسهم بأنفسهم ، وتطهير بلادهم التى وطئوا بها زهاء ثلاثة عشر قرنا من المستعمرين المتغلبين ، قابلتهم فرنسا بمدافعها وطياراتها ودباباتها ، تحصد رجالهم ، وترمل نساءهم ، وتترك أطفالهم يتامى ، قد فقدوا العائل والنصير ، وملئت السجون والمنافى بالأحرار من أهل البلاد ، فياله من ظلم عبقرى ، وجور ليس له ضَهِيّ ! !

ولكن كل ذلك من ضروب القهر ، وألوان البطش والتنكيل ، لم يفتّ فى عضد المجاهدين ، ولم ينل من عزمهم وعقيدتهم شيئا ، فأقبل كل منهم فى ساحة الوغى زيّافا[1] ، بل أروع بسّاما ، يلقى المنية ضاحكا !

إذا هَمَّ ألقَى بين عينيه عزمَه
ونكّب عن ذكر العواقب جانبا
ولم يستشر فى رأيه غير نفسه
ولم ير إلا قائم السيف مذهبا

ثم أعلنوا إنشاء جيش لتحرير المغرب العربى ، قد وحدت قيادته بين مراكش والجزائر ، وإنه — وايم الحق — لنبأ عظيم ، قد اغتبط به أنصار الحق والحرية فى كل مكان . وإنا لنأمل أن يكون تكوين هذا الجيش صيحة مدوية لأمة العرب وللمسلمين أجمعين ، توقظ هممهم ، وتدفعهم إلى مؤازرة إخوانهم فى المغرب العربى ، وتحركهم لمشاركتهم فى الجهاد بالمال والنفس ، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، حتى يصدق فيهم قول الشاعر العربى :

لنا نفوس لنيل المجد عاشقةٌ
ولو تسلّت أسلناها على الأسَل[1]
لا ينزل المجد إلا فى منازلنا
كالنوم ليس له مأوى سوى المُقَل

٣ — فقد أشرنا فى مقالنا السابق (معركة الحق والحرية) إلى أن تحرير المغرب العربى ليس واجباً على أهله فحسب ، إنما هو واجب العرب والمسلمين أجمعين ، كل بقدر استطاعته ؛ فإن المسلمين إخوة ، تجمعهم أخوة الإسلام وإن تناءت ديارهم ، وتباعدت أقطارهم ، ولا شك أن أهل المغرب فى جهادهم الحاضر ، فى أشد الحاجة إلى معونة إخوانهم من العرب والمسلمين ، لقلة ما فى أيديهم من مال وسلاح وعدة ، فى حين

(١) الزياف : الأسد .

(١) يراد بالأسل الرماح .

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

أن عدوهم يفوقهم عدة ، وقوة حربية .

وقد أجمع علماء الشرع الإسلامى على أن الجهاد فريضة محكمة ، غير أنه فرض كفاية فى حال إمكان دفع العدو بخروج بعضهم إلى القتال ، فلو لم تقع الكفاية إلا بكل الناس فرض عليهم جميعاً ، كصلاة وصوم ؛ ولذلك يكون الجهاد فرض عين على كل واحد من المسلمين ، إن هجم العدو ولم يتهيأ دفعه إلا بقتالهم جميعاً . وفى كتاب رد المحتار : إن فرضية الجهاد عيناً فى هذه الحالة تكون على من يقرب من العدو ، فإن عجزوا أو تكاسلوا فعلى من يليهم ، وهكذا حتى يصير الجهاد فرضا على جميع أهل الإسلام شرقا وغرباً ، على هذا التدريج » .

وقال ابن تيمية : « الجهاد باب واسع ، لم يرد فى ثواب الأعمال وفضلها مثل ما ورد فيه ، ونفعُ الجهاد عام لفاعله ولغيره فى الدين والدنيا ، وهو مشتمل على جميع أنواع العبادات الباطنة والظاهرة ، ففيه من محبة الله تعالى ، والإخلاص له والتوكل عليه ، وتسليم النفس والمال له ، والصبر والزهد ، وذكر الله ، وسائر أنواع الأعمال ، ما لا يشتمل عليه عمل آخر . والقائم به من الشخص والأمة بين إحدى الحسنيين دائما : إما النصر والظفر ، وإما الشهادة والجنة » .

والنصوص القرآنية ، والأحاديث النبوية فى هذا الباب ، أكثر من أن تحصى :

ففى سورة التوبة يقول الله جل شأنه : « انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ، وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ اللهِ ، ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ » .

وفى سورة الحجرات إيذان بأن المؤمن لا يعتبر صادقا فى ادعاء الإيمان إلا إذا ضم إلى إيمانه بالله ورسوله المجاهدة بالمال والنفس فى سبيل الله ، وذلك هو قوله تعالى :

« إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ، ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ، وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللهِ ، أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ » .

وجهاد العدو يشمل الجهاد باللسان والمال والنفس ، ومن أهم أنواع الجهاد بالمال تجهيز الغزاة بالعدة الحربية ، والإنفاق عليهم فيما يحتاجون إليه من طعام وشراب ولباس ؛ ولذا ورد فى الحديث : « من جهّز غازيا فى سبيل الله فقد غزا ، ومن خلفه فى أهله بخير فقد غزا » .

والإسلام جعل الجهاد رهبانية المؤمنين فقد ورد[1] فى الحديث : « عليكم بالجهاد

(١) النهاية فى غريب الحديث والأثر .

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

فإنه رهبانية أمتى » . يريد أن الرهبان وإن تركوا الدنيا ، وزهدوا فيها ، وتخلوا عنها ، فلا ترك ولا زهد ولا تخلى أكثر من بذل النفس فى سبيل الله ، وكما أنه ليس عند النصارى عمل أفضل من الترهب ففى الإسلام : لا عمل أفضل من الجهاد .

ولذا ورد : « ذِروة سَنام الإسلام الجهاد فى سبيل الله » ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « من اغبرّت قدماه فى سبيل الله حرمه الله على النار » ، وقال : « إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف »

٤ — إذا ثبت هذا ، فما الذى يبرىء ذممنا من دَين تلك الفريضة ، ويخرجنا من الإثم العظيم والحُوب الكبير الذى يلحق من يترك أداءها ؟ ! لا شىء إلا أن ننفر خفافا وثقالا لنجدة هؤلاء المجاهدين ، وعلى الشعوب العربية والإسلامية وأمم الجامعة العربية أن تقاطع فرنسا — إن لم تقلع عن خطة التنكيل والبطش — فى ميدانى الاقتصاد والثقافة ، فتقاطع سلعهم التجارية ، ومدارسهم الفرنسية ، وتنشر مساوى حكمهم فى المؤتمرات والمجتمعات الدولية والشعبية ، كما أن عليهم أن يشاركوا هؤلاء المجاهدين ، ويشدوا أزرهم بما يستطيعون من الأنفس والأموال ، ويرسلوا إليهم بعثات الهلال الأحمر لتضميد كلومهم ، وتخفيف الويلات عن منكوبيهم .

« وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ، إِنَّ اللهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ » .

من . . .

- من كانت الآخرة رأس ماله كانت الدنيا ربحه ، ومن كانت الدنيا رأس ماله كانت الآخرة خسارته .
- من كانت الدنيا سبب صلته فإنها سبب قطيعته ، فاحذر أن تجعلها وسطاً بينك وبين أحد .
- من فسدت بطانته كان كمن غص بالماء فلا مساغ له ، ومن خانه ثقاته فقد أُتى من مأمنه .
- من أطاع الواشى ضيّع الصديق ، ومن جعل لنفسه حظاً من حسن الظن ، يروِّح عن قلبه .

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

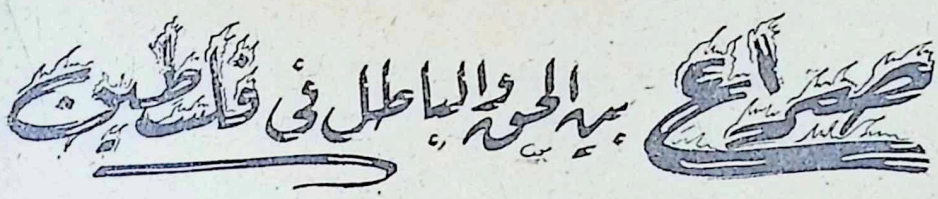

١ — تلك هى الأرض المقدسة التى طلب الله إلى نبيه موسى عليه السلام أن يخلع نعليه عند دخولها ، فقال له : « فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى » وتلك هى القبلة الأولى للمسلمين ، وتلك هى مُسْرى النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، وفيها كانت إمامته للنبيين ، ثم هى الأرض التى قامت فيها العدالة الإسلامية ، وعلم الناس فيها أن الإسلام دين العدل الذى لا يفرق بين جنس وجنس ولا دين ودين . ألم تر إلى الإمام عمر عندما جاء إلى بيت المقدس ليعقد الصلح العادل وجد هيكلا من هياكل اليهود قد طمسه الرومان بالتراب ، فلما علم أنه هيكل لعبادتهم ، تقدم ذلك الإمام العادل فأخذ بفضل ثوبه يملؤه تراباً ، ويزيحه عن الهيكل ، واقتدى به جيشه ، وما هى إلا لحظة حتى بدا الهيكل واضحاً ، وأزال عدل المسلمين التراب الذى كدّسه ظلم الرومان على هياكل العبادة .

ولقد قام المسلمون على تراث الديانات السماوية قوامة أساسها العدالة والسماحة ، حتى لقد قاتل المسيحيين المخلصين عندما فتح الصليبيون بيت المقدس : « عمامة العربى خير لنا فى العدل من التاج الكهنوتى » ولما استردها المسلمون وأخرجوا منها برابرة أوربا ، أحسّ المسيحيون فيها أنها عادت إلى اليد العادلة الرحيمة ، والأخوة العاطفة الكريمة .

ولقد توقع الناس الشر عندما وضع الإنجليز أقدامهم فى تلك البلاد الطاهرة التى ولد فيها عيسى عليه السلام ومنها رفع ، والتى بها آثار للمسيحية الأولى ، ولم يكن توقع الشر خاصاً بالمسيحيين فى الشرق ، بل وصل إلى المخلصين من المسيحيين فى الغرب ، وحتى لقد قال بعض كبار القسس هنالك : « ويل للبلاد المقدسة من خروجها من يد العرب إلى يد الإنجليز » .

٢ — هذه أرض الأنبياء والصديقين والشهداء يُخرج الإنجليزُ والأمريكان منها سدنتها الكرام ، والذين عمروها بعد خراب ،

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

وحموا فيها تراث الديانات السماوية ؟ أخرجوا العرب المسلمين من ديارهم وأموالهم ومزقوهم كل ممزق ، ليُسكنوا فيها اليهود الذين قتلوا النبيين بغير حق ، والذين آذوا المسيح فى حياته ، ويعتقد المسيحيون أنهم وشوا به عند الرومان حتى مكنوهم من قتله فصلبوه فى اعتقادهم ؛ يخرجون الذين يقدسون المسيح ، ويكفرون من لايؤمن به ، ليحل محلهم فى تلك الديار الذين قتلوا المسيح فى زعمهم . هنا يتعجب الناس ، وحُق لهم بمقتضى ظواهر الأمور أن يتعجبوا ، ولكن إذا عرفت الأسباب زال العجب العجاب ، وإذا كشفت النيات ظهرت الخبيثات ، وبدا الصبح لذى عينين ، ولكنه صبح دامٍ مدلهم غير منير .

٣ — إنها الحرب الصليبية فى القرن العشرين من مولد المسيح عليه السلام ، لقد شنوها حرباً فى الماضى فما أبادوا الإسلام ولا المسلمين ، وانتهى الأمر بأن صارت الكلمة للحق والعدل ، ومكن الله للعادلين ، ورد كيد الظالمين فى نحرهم ، ولقد بدا عجزهم ، وفسد تدبيرهم ، وهم يريدون للإسلام الزوال ، وللمسلمين الخبال ، ولكن تغير وجه الدنيا وانقلبت الحال وتحول المسلمون من قوة إلى ضعف ، ومن عزة إلى ذلة ، ومن سيطرة على مايجرى بين الأمم إلى حال يراد بهم فيها ولا يريدون ، ويختار لهم ولا يختارون ، ويصنع لهم ولا يصنعون .

عندئذ وجدوا الفرصة لاحت ، فعليهم أن ينتهزوها ، لا ليتغلبوا على المسلمين فقد تغلبوا ، ولا ليستولوا على بلادهم فقد استولوا ، ولكن ليبيدوهم ويزيلوا دينهم الذى ارتضوا ، فإنهم ماداموا فى نماء وتكاثر عددى ، وإن كانوا غُثَاءً كغُثاء السيل ، كما توقع النبى صلى الله عليه وسلم وكما صرح الرسول الأمين ، لايؤمن لهم جانب ، ولا يطمئن لأعدائهم بال ، فالحياة والقوة كامتنان فى معانى دينهم ، وكم من شديدة خرجوا منها ، وكم من مكيدة لم تنجح فى بخعهم . تلك وساوس الأوربيين وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ ، وَاللهُ خَيرُ المَاكِرِينَ » .

٤ — وقد يقول قائل : وهل فى إقامة طائفة من بنى إسرائيل فى أرض الله المقدسة وإخراج أهلها منها إبادةٌ للإسلام والمسلمين فى كل بقاع البلاد العربية ، بَلْهَ البلادَ الإسلامية ؟

والجواب عن ذلك يستمد من التاريخ كتاب العبر ، وسفر المعتبر ؛ ذلك أن المسلمين عندما فتحوا الأندلس اعتصم

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

طائفة من سكانها بالجبال ، وكانوا شرذمة قليلة لم يُلْق المسلمون لهم بالا ، ولم يهتموا بأمرهم ، بل ساروا فى فتوحهم ، حتى بلغوا وسط فرنسا وتجاوزوا جنوبها ، وما أحسوا بأن أولئك المتصمين بالجبال وشعابها فيهم خطر على دولتهم أو قوة مقوضة لسلطانهم ، ولو أن القدر قد كشف لهم لوحه لعلموا أن هذه الشرذمة التى استهانوا بها كانت فيها نواة حصدهم فى أرض أندلس وإخراجها من أيديهم . لقد كانت تلك الشرذمة القليلة كالداء الكمين المستمكن فى جسم الإنسان ، لايظهر له أثر كلما كان الجسم قوياً ، فلا يحس القوى بويلاته مادامت عناصر القوة متوافرة ، حتى إذا بدا الضعف ظهر الداء قوياً ومازال ينازل ، قُوى الجسم حتى يقضى عليها ؛ وذلك ما كان من تلك الشرذمة ؛ فإن المسلمين ماإن تفرقوا فيما بينهم ، وصار أمرهم سدداً بدداً حتى أنشب هذا العدو الكامن فيهم أظافره واستعان بمن وراءه من الفرنجة فأعانوه ، وانقضوا على المسلمين فى تلك البقعة الخضراء فقتلوهم ، وعلى الإسلام فيها فأزالوه .

وهذا مايريده الأمريكان والإنجليز والفرنسيس وغيرهم من إسرائيل ؛ يريدون منها أن تكون تلك الشرذمةَ التى أقامت فى شعاب الجبال فى الأندلس لتنقض على المسلمين فتبيد خضراءهم ، وتستولى على مهد الإسلام الأول ؛ على مكة والمدينة ، على المسجد الحرام ، وعلى مسجد النبى ، وعلى الروضة الشريفة ؛ وبذلك يكونون قد أخذوا بيضة الإسلام ، وبأيسر كلفة من بعد يزيلونه .

ليس عجباً إذاً أن يناصر الأمريكان والإنجليز والفرنسيس إسرائيل ، وهم يعتقدون أنهم قتلة المسيح ، وليس بغريب أن يمكنوهم من تلك الديار المقدسة التى هى مزار الأكثرين منهم ، فإنهم لايفعلون ذلك حبا فى بنى إسرائيل ، ولكن بغضاً لآل محمد ، فهم كما يقول المثل العربى : يفعلون مايفعلون بغضاً لعلى لاحباً فى معاوية . وليس هذا قولا نلقيه على عواهنه ولا خيالاً نتخيله ، ولا نظرة متشائمة ننظرها ، ولكنها الحقيقة الثابتة التى تؤيدها المقاصد الظاهرة والشواهد القائمة .

إن أمانى الصهيونية — وكل اليهود صهيونيون — أن تستولى على الأرض التى وُعدوا فى زعمهم بأن يستولوا عليها ، وليست هذه الأرض هى فلسطين فقط كما يبدو بادى الرأى ، كلا إنها البلاد العربية كلها ، إنها مصر واليمن والشام كله ، والعراق ، والمدينة المنورة ، والحجاز كله ؛ ألم يكن بالمدينة قريظة والنضير ،

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

وألم يكن بالحجاز خيبر ؟ إذن فهى أرض لهم ، وفيها ميعادهم .

٦ — لقد ذكرنا الخبراء الذين درسوا مرامى اليهود وعرفوا غاياتهم ، أن لهم مصورا جغرافيا ، قد ثبتوا فيه كل مطالبهم ، وهى تشمل ما ذكرنا ، وتتسع لما وراءه . هم يريدون مصر ، وإن كانوا فيها من قبل أذلاء ، يذبح فرعون أبناءهم ، ويستحيي نساءهم ؛ ويريدون الحجاز ؛ لأنه كان فيه شراذم منهم ، ويعاونهم فى ذلك الأمريكان والانجليز والفرنسيس . ولعل أشد ما يعاونونهم فيه أن يمكنوهم من الحجاز عامة ، ومن المدينة المنورة خاصة ؛ لأن فيها قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، وفيها مسجده الطاهر ، الذى تشد إليه الرحال ، والمدينة هى التى يأرز إليها الإسلام ، كما تأرز الحية إلى جحرها ، فإذا زال الحجاز فقد زال الإسلام ولم تعد جامعة تجمعهم أبداً ...

فهل نتركهم هكذا يعيثون فى الأرض فساداً ؟ وهل نتركهم حتى يتمكنوا من جثمان النبى الطاهر ، ويملئوا عقائرهم فخارا بأنهم أصابوا الإسلام فى كبده ، ونالوه فى صميمه ، ونرجع نحن بأكبر الذل والعار ! اللهم إن من يرضى بذلك يرضى بأشنع موت ، وأقبح استسلام ، فلا المروءة والنخوة راعى ، ولا الدفاع عن النفس قام به ، ولا الدين حماه ، إنما هى الميتة الذليلة ، إنما هو الذبح الذى تستسلم فيه الشاة والبعير ، وخير لنا أن نموت فى ميدان الدفاع أعزاء كراماً من أن نموت هذا الموت الذليل .

٧ — وقد يقول قائل : لماذا يسلط الأمريكان والإنجليز على الإسلام اليهود ، ويمدونهم بالسلاح والعتاد والنصرة والتأييد فى كل جماعة دولية ، وتقشعر أبدانهم إذا أحسوا أن فى المسلمين قوة تقاوم ، أو إرادة تصمم على الحياة العزيزة ؟ ولماذا لم يجعلوا تلك الشوكة التى يُشاك بها القلب الإسلامى من النصارى بدل اليهود ؟ والجواب عن ذلك أنه إن كانت تلك الشوكة من النصارى يبدو الخبىء فى أوله ، ويظهر الشر بائناً بيناً ، فيأخذ المسلمون الأهبة ، ويتحرك النائم ، ويستيقظ الغافل ، ويحذر الآمن ، وهم يريدن أن يأتوا الحذر من مأمنه ، وينقضوا على النائم وهو فى منامه ، ويقتنصوا الغافل وهو فى غفلته وغيه السادر فيه ، فاختاروا ناساً يحاولون أن يستروا بهم نياتهم ؛ اختاروا أولئك اليهود ليتخذوا من مذابح ألمانيا لهم ستاراً ، فينادون بأنهم مظلومون ، وأنه ينبغى إيواؤهم ، وأن من عار الإنسانية تركهم ، وبذلك تختفى مقاصدهم وراء ضجة من عبارات الإنسانية والتشرد والضياع والآلام البشرية ، وهى أمور قد تخفى على غير اللبيب ، ويدرك مغزاها ومرماها الأريب ، وتتكشف

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

فيها النيات لمن يأخذ من الماضى نوراً يضىء للحاضر .

إن كانوا يريدون للمشردين من اليهود إيواء ، فلماذا لا يسكنونهم فى زوايا الأرض غير العامرة ، ليحيوها ، وهى غامرة ؟ عندهم استراليا ، وهى أرض خالية ، وعندهم كندا ، وفيها خير لا يجد من يستغله ، ولماذا لم يسكنوهم فى مستعمراتهم فى جنوب أفريقيا ، وهى أراض غير آهلة ؟

إنهم لا يفعلون ذلك لأنه لا يحقق لهم مقصدا ، ولا يؤكد لهم غاية أرادوها فى الماضى ، ويريدونها فى الحاضر مؤكدة ثابتة ، بأن تكون الضربة ناجحة ، وأن تكون الرمية صائبة .

وإن كانت الإنسانية غايتهم وإيواء المشردين من اليهود مقصدهم فلماذا يخرجون العرب من ديارهم ويمكنون اليهود من رقابهم ، فيذبحوا فيهم مذبحة كمذبحة ألمانيا ، والجيش البريطانى يرقب ذلك فرحاً مستبشراً ! ولماذا يتركون طائفة كبيرة من العرب المسلمين غرثى عرايا يكوى أجسادهم الحر اللافح ، ويأكل أبدانهم الصقيع البارد ، وقد بلغوا ألفَ ألفٍ أو يزيدون . . . والحق أن إبادة هؤلاء مقصودة لذاتها ، وإيواء اليهود مطلوب لغيره وهو هذه الإبادة . فالسبب فى الحماسة للإيواء هو السبب فى ترك اللاجئين والتمكين من رقابهم .

٨ — إن اليهود أعداؤهم بلا ريب ، وهم يعرفون ذلك ويؤمنون به ، ، وإلا كانوا كافرين بدينهم ، غير مؤمنين بملتهم التى ارتضوا ، ولكن اليهود فى قبضة أيديهم يبيدونهم إذا أرادوا فى أى وقت شاءوا ، ألم تذبح ألمانيا أربعة ملايين من اليهود فى يوم وليلة ؟ والأمريكان والانجليز إن أرادوا ذلك أبادوهم ، وحصدوهم حصد المنجل فى أى وقت أرادوا .

أما المسلمون فأمرهم أشد وأدهى وأمر عليهم ؛ إنهم ملايين منبثون فى الأرض ، تجاوز إحصاؤهم أربعمائة مليون ، وهم يزيدون وينمون ، قد بثوا بينهم نظريات الحد من النسل ، ووضعوا النظم للدعاية إليه ، وحاولوا أن يحملوهم على منع تعدد الزوجات ، ولكن ذلك كله لم يجد فتيلا ؛ فلابد من وضع تلك الشوكة الإسرائيلية من أحلاس الأمم ليكون سبيلا للاستمكان من أرضهم المقدسة ، ويقتطعوا الإسلام من مهده .

تلك نياتهم ، وهذه مقاصدهم وغاياتهم ؛ فهل أعد المسلمون العدة ، وأخذوا الأهبة ؟ وهل فكر قادة المسلمين فى الخطر الداهم ، والشر المدلهم ؟ اللهم لا ؛ لقد وجدنا

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

دولا إسلامية تعترف بوجود دولة إسرائيل وشرعية مقامها وحل اغتصابها ، ووجدنا أخرى تمالىء هذه الدول ، وتمالىء حماة إسرائيل وموجديها ، وهم لا يعلمون ما يخبئون للإسلام وأهله ، أو يعلمون ولكن غلبت عليهم شقوتهم ، واستولى عليهم هواهم ، فجعلوه إلههم ، وخلعوا ربقة الإسلام ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

٩ — وإنه لما يثير العبرات ، ويلقى فى النفس حسرات ، ويشقق المرائر أن نجد بين علماء الإسلام من ينسب إليه أنه يرى شرعية الصلح مع اليهود ، ويقول ذلك جائز شرعا . ويقول الذين نسبوا إليه ذلك القول إنه يستشهد بقوله تعالى : « وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ » وينسبون إليه أنه يرى ذلك الرأى من الناحية الشرعية ، وأما ناحية السياسة فهى لرجالها !!

ومع أننا نستبعد صدور ذلك القول عمن نسب إليه ، نجد من الواجب علينا أن نناقشه فى إيجاز ، فعسى أن يجول برأس غيره ، وعسى أن يتخذ ضعاف الإيمان من نشره ذريعة للدعوة إلى التردد والهزيمة وتثبيط العزائم ؛ فإن ضعف الإيمان هو الذى أدى بنا إلى هذه الحال ، وإلى هذا المآل .

إن من المقررات الشرعية أنه يجب على المفتى أن يعرف الواقعة التى يفتى فيها على وجهها ؛ فإن الفتوى بطبيعتها حكم شرعى فى واقعة معينة ، وليست الفتاوى نظريات فقهية مجردة ، إنما هى أوصاف شرعية لوقائع حقيقية فى هذا الوجود ، ومن أفتى من غير معرفة الواقعة التى يفتى فيها معرفة دقيقة فقد خرج عن جادة الفتوى ، وعن منهاج الإفتاء والمفتين ؛ ولذا كان العلماء فى الماضى يسمون المفتين موقِّعين ؛ لأنهم يحكمون فى وقائع ثابتة معينة .

ففى مثل هذه المسألة الشائكة كان على الذى يتصدى للإفتاء أن يعرف الواقعة معرفة دقيقة ، ثم يعطيها الوصف الشرعى الذى يتفق مع نصوص الشرع الشريف ، ومع مصلحة الإسلام والمسلمين .

والواقعة أن طائفة مُجمت من أنحاء العالم وقد سلطهم أعداء الإسلام على المسلمين فى بقعة من الأرض ، فأخرجوهم من ديارهم ومزقوهم كل ممزق ، وتركوهم لا مأوى يأوون إليه ، ولا مدد يتغذون منه ، وأخذ أولئك المغتصبون يذبحون فى الباقين ، فلم يبقوا منهم بقية ، وما من عهد تعاهدوا عليه إلا نقضوه ، وما من مبدأ إنسانى إلا انتهكوه ، فهل يجوز الصلح معهم بإقرارهم على الأرض التى اغتصبوها ،

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

وليتمكنوا من الغدر بالمسلمين إن اطمأنوا إلى عهدهم كما فعلوا فى الماضى ؟ فهل يجوز الصلح على إبرائهم من الأرواح التى أزهقوها ، وغسل أيديهم من الدماء التى أراقوها ، وتنقيتهم من الأعراض التى انتهكوها ؟ أيجوز هذا شرعا أم لا يجوز ؟ تلك هى الواقعة وهذا هو الاستفتاء فيها ؛ وإنا نرى أن الواجب هو أن نقول : إن الصلح غير جائز مطلقاً للأسباب الآتية :

١ — أنه إقرار للظلم وأكل أموال الناس بالباطل ، وإقرار لقتل الأبرياء ، وانتهاك الأعراض ، وإقرار مثل هذا حرام ، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول : « كل صلح جائز إلا صلحا أحل حراما ، أو حرم حلالا » .

٢ — أن الصلح لا يجوز بين المسلمين وغيرهم إلا إذا كان فيه مصلحة للمسلمين تزيد على المصلحة فى قتالهم ، ولا شك أن الصلح مع هؤلاء مع تشريدهم للمسلمين واغتصاب أرضهم ، والتمكين لهم من خدعهم مرة أخرى ليس من مصلحة الإسلام فى شىء ، إنما فيه الضرر كل الضرر ، ولا نفع فى الاستنامة إلى الراحة مع عدو يريد أن ينقص عليك الأرض من أطرافها ، وقد وضع ذلك فى منهاجه .

٣ — أن هؤلاء قد عرفت منهم الخيانة فما بروا بعهد ، ومن عقد المسلمون معه صلحاً وتبين أنه يريد الخيانة ينبذ إليه عهده كما قال تعالى « « وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ » فكيف نعقد صلحاً مع من جربنا منه الخيانة بالفعل ، وثبت بالدليل القاطع أنه يعقد ليتحفز للوثبة . إنهم كما وصف القرآن الكريم إخوانهم المشركين : « لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ » اللهم املأ قلوبنا عزة من عزة الإسلام ، واهد كل القادة ليعملوا على عزته وجعل كلمته هى العليا ، إنك سميع الدعاء .

محمد أبو زهرة

بنك مصر

البناء الذى رفعته العزة المصرية
دعامتها فى الاستقلال الاقتصادى
مؤسس شركاتها القومية
منشىء الصناعات الكبرى
يشمل نشاطه كل الأعمال المصرفية
فروعه بعواصم المديريات
ومدنها الكبرى
وكلاؤه ومراسلوه فى كل بلاد الخارج
رقم المركز الرئيسى
السجل التجارى ٢ — القاهرة

https://t.me/megallat/ جروب مجلات قديمة - تلجرام Not-for-salle

محمد كامل البنا

الأدب العربي في القرآن

لم أعقد هذا الفصل لأتكلم عن القرآن ككتاب كريم ، نزل من رب العرش العظيم ، على صفوة خلقه محمد صلى الله عليه وسلم ، فنظم للمسلمين شئون دينهم ، ورتب لهم أمور معاشهم ومعادهم ، وحدد العلاقات للمجتمع الإنسانى ، ونظم الحياة على طراز لم يألفه الناس ولا اعتادته الأمة العربية فى جاهليتها الأولى ، فهذه كلها بديهيات امتلأت بها بطون الكتب ، وأفناها العلماء والكتاب بحثاً وتنقيباً . . .

ولم أعقد هذا الفصل لأبين للقراء إعجاز القرآن وتحديه لبلغاء العرب وعلمائهم ، وشعرائهم وخطبائهم ، وهو الذى نزل على نبى أمى لم يعلمه معلم ، ولم يؤدبه مؤدب ، أو يتول تهذيبه أحد المربين ؛ فلقد سبقتنى فى هذا المضمار فحول العلماء وكبار الباحثين والمفكرين حتى امتلأت الأسفار بالحديث فى هذا المضمار ، وليس لى أن أحاول إلا النهج على غبارهم ، والسير على آثارهم ، والنقل عنهم إن أردت النشر والتكرار ، فقد أدوا فى هذا الصدد واجبهم ، وخدموا كتاب شريعتهم بما لا يستطيع أحد أن يجاريهم فيه .

ولكنى عقدت هذا الفصل كما يقرأ من عنوانه للتحدث عن « الأدب العربى فى القرآن » وما أحسبنى بمستطيع أن ألم بهذا الموضوع فى مقال أو مقالين ؛ فإن ذلك يحتاج إلى سفر بل أسفار ، ولكن مالا يدرك كله ، لا يترك بعضه أو جله .

نزل القرآن على محمد صلوات الله وسلامه عليه فى مناسبات شتى وأوقات متباينة ،

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

ولم يكن نزوله حسب ترتيبه المبين فى المصاحف الآن ، ولكن الذى رتبه ووضع آياته فى مكانها هو جبريل الروح الأمين ، بأمر من رب العالمين ؛ غير أن الذى يتمعن فيه ، ويفقه بعض أسراره ومعانيه يرى فيه أشياء وأشياء ، بل يرى فيه كل شىء يبتغيه ، ويستخرج منه أى حاجة يسعى إليها ؛ فالمشرع والفقيه والعالم والطبيب والمهندس والقاضى ورجل النحو واللغة ، كل أولئك وغيرهم يجدون فيه طلبتهم ، وينشدون عنده بغيتهم . . . أما المشتغل بالأدب العربى فهذا يشبع منه نهمه ، ويروى غلته ، ولا يكاد يخرج من أسلوب رفيع عال ، إلا إلى أسلوب رفيع عال ، ولا يكاد يمتلىء النفس والعقل والروح بعبارات سامية اللفظ والمعنى مشرقة بالنور الربانى الذى يملأ القلب خشية وإذعاناً وخضوعاً وإيماناً بأن هذا كتاب كريم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، حتى يحس أن كل فكرة تسرى إلى النفس ، وكل خاطر يخطر على العقل ، فى وصف أثر هذا التنزيل على قارئه ومتدبر آياته ، إنما هى خواطر طفيفة ، من إنسان مهما بلغ به رقى الفكر والمدارك ، وسلك به العقل كل المسالك ، فهو ضعيف عاجز ، تافه ضئيل أمام تلك المظمة الربابية ، وحيال هاتيك النفحات القدسية . . .

وإلا فليقل لى أى كاتب قصصى ، وأى مؤرخ عبقرى ، بل أى عالم أرضى : ماذا يحس وبماذا يشعر حين يقرأ قصة موسى كليم الله عليه السلام لما فرّ من فرعون وقومه وقصد إلى ديار مدين ، وما جرى له بين بنتى شعيب ، وكيف وصل إلى هناك وعمل أجيرا مقابل زواج إحداهما ، وكيف وفى بوعده ، وظل حتى قضى الأجل الذى قطعه على نفسه . . . تلك قصة طويلة يقرؤها القارئ فى غير القرآن فى أكثر من مجلد ولا يجد لها حلاوة ولا طلاوة ، ولكن الأسلوب الحكيم يقصها فى أجمل عبارة ، وأروع إشراقة ، وأدق لفظ ، وأبدع معنى ، يسمعها السامع فيخشع ، ويقرؤها القارئ فيذعن ويخضع ، وتظل حلاوتها فى السمع وفى القلب ، ما دام الحس وما بقى الذوق السليم . . يقول القرآن الكريم قاصا هذا القصة :

« وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ، وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ، قالَ مَا خَطْبُكُمَا ؟ قالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ . فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى

Not-for-salle https://t.me/megallat/ جروب مجلات قديمة - تلجرام

الظلّ فقالَ رَبِّ إنّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فقيرٌ . فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ : إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ، فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لاَ تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ . قَالَتْ إِحْدَاهُمَا : يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ، إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ . قَالَ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ ، فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ ، وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّالِحِينَ . قَالَ : ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلاَ عُدْوَانَ عَلَيَّ ، وَاللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ » .

تلك آيات ست طوت تحتها سنين طويلة ، وأحداثا خطيرة ، رسمت لساممها تاريخا حافلا بالأحداث ، وشريطا سينمائيا — حسب تعبير هذه الأيام — يمر فيه الزمن فى ذهن ناظره كلمة برق ، أو خفقة طرف .

ليس هذا الكلام لى وحدى ولكنه رأى أجانب عن الإسلام ، قالوا أكثر مما أقول ، ومما يقول المسلمون .

اجتمعت فى صيف هذا العام وأنا فى باريس بأستاذ مستشرق تخصص فى دراسة اللغة العربية وأسرارها ، وعكف على التخصص فى اكتشاف ما فى القرآن من أدب عربى ، قرابة العشرين عاما ، فلما دار بيننا الحديث فى هذا الشأن قال لى أنتم معشر المسلمين مطمئنون على لغتكم من أن ينال منها عدو ، أو ينجح فى حربها محارب ما دام بين ظهر انيكم القرآن وبلاغة القرآن وسحر القرآن ، وإنى وأنا الذى لا أدين بالإسلام كلما قرأت قصصا من قصصه ، أو تلوت آيات منه امتلأت إعجابا به ، وأيقنت أن الذين يتهمون محمداً بأنه ألفه من عنده قوم يجهلون الأساليب ، ويكابرون فى الواقع المحسوس ؛ فإن أبلغ البلغاء والمتعلمين فضلا عن محمد الأمى الذى لا يقرأ ولا يكتب تتحطم أقلامهم وتقف عقولهم وأفكارهم دون هذا الكلام العجيب الغريب .

ثم تطرق بنا الحديث إلى ذكر بعض قصص القرآن وما فيه من أدب وعذوبة وبلاغة ، وسألنى أن أتلو عليه قصة موسى فلما تلوتها وقف عند قول الله تعالى : « فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ » وصمت ليستخرج منها شتى المعانى الحسية والمعنوية كما قال لى ، وطلب إلى أن أوافيه برأيى ، فقلت له إن كلمة « تمشى على استحياء » محت خيال وصاف الجمال فى

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

النساء ، والمثنين على أهل الخفر والتيه والدلال ، فإنها على قصرها فيها من الجمال أدقه ، ومن الخفر والتيه أرقه ، ومن الدلال والحياء والعفة مالا يستطيع أحد وصفه ، وهى كلمة واحدة حوت كل هذه المعانى .

فأجابنى على الفور : إن هذه الخواطر هى التى جالت بذهنى وطافت بفكرى حين سمعتك تتلو هذه الكلمات . ثم حدثنى أنه كلما تلا آية من القرآن ، أو سمع أحدا يتلوها يخرج بمعنى جديد وفكرة جديدة غير التى طافت بخاطره من قبل ، وضرب لذلك مثلا الآية الشريفة : «وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ؛ صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ » فقال أول ماسمعتها فهمت أول ما فهمت أن هذا إخبار عن يوم القيامة وما تكون عليه الجبال يومئذ ، ولكن لما تعمقت وبحثت ، خرجت من هذه الآية بالدليل القاطع ، والبرهان الدامغ على أن الأرض كروية ، وأن علماء الجغرافيا لم يأتوا بجديد حين طلعوا علينا بهذا الرأى .

ذلك كلام رجل أجنبى عن الإسلام وعن لغة القرآن ، وهو من غير شك رأى كل متعلم تعلم الأدب العربى ، أو فهم شيئا من آداب لغته وبلاغتها .

فإذا انتقلنا من قصة موسى إلى قصة أخرى أو إلى أى تعبير آخر سواء كان هذا التعبير تشريعا فقهيا أم حدثا تاريخيا ، أم تعليما سماويا ، نجد الأسلوب هو الأسلوب ، والعظمة هى العظمة ، والسياق هو السياق ، حتى الواقعة التى يتعرض لذكرها أكثر من مرة ، قصد من وراء هذا التكرار تثبيتها فى النفوس ، وأن تعيها الآذان والعقول .

ويطول بى الكلام والشرح لو أردت أن أذكر آيات أو قصصا من قصص القرآن الكريم للاستدلال على ما أقول ، فحسب القارىء ذلك فى هذه العجالة ، ولكن ليذكر معى قولة المستشرق الفرنسى «مادام القرآن بين ظهرانيكم فلا خوف على لغتكم ، وابزد عليها « وما دام فى أدبائكم وكتابكم وعلمائكم من يطلع منه كل يوم بجديد فإن الإسلام سيظل مرفوع الهام ، عالى السنام ، وسيظل أتباعه فى ازدياد على مر الأيام مهما تألب عليهم الأعداء ، وتفننن فى حربهم الخصوم الأشداء » .

أما بعد ، فهذه لمحة عاجلة عن « الأدب العربى فى القرآن » هى ما اتسع له المقام فى هذا العدد ، أرجو أن يوفقنى الله فأتبعها بأخرى وأخرى فى الأعداد المقبلة إن شاء الله « وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ » .

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

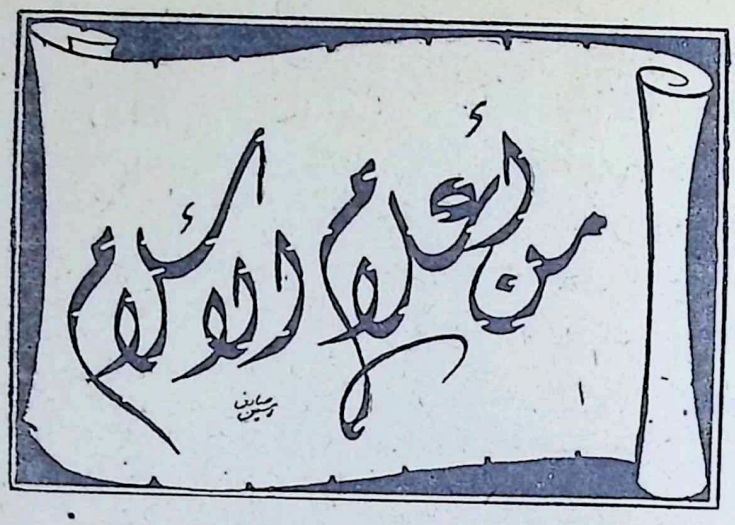

عائشة أم المؤمنين

(٣)

عائشة فى بيت الرسول

اسمها ، كنيتها ، لقبها :

لفظ عائشة مشتق من العيش ، يتفاءلُ به الوالدان عند التسمية ، ليعيش المسمَّى به ويُعَمَّر . وقد حقق الله لعائشة فأل أبويها ، فانتظمتْ فى سلك عمرها المبارك الطويل عقود السنين ، وكثيراً ما كان رسول الله عليه صلوات الله يناديها باسم : ياعائش ، مرخَّما ، ليُشعرها مع تسهيل النطق به برخم قلبه عليها وعطفه ومحبته لها .

حفّ الله عائشة بألوان من النعم ، وخصها بمزايا تَفْضُل بهن سائر أزواج الرسول ، ثم شاءت حكمته الحكيمة ، أن تمتحنها فى ثنايا هذه النعم العظيمة ، فحرمتها البنين والبنات . وهل عائشة إلاّ على غرار أخواتها من بنات حواء ، توّاقات إلى الولد ، يشعرن عند ذكر اسمه ، بتيّار كهربى خفىّ ، يتدفق فى صدورهن وقلوبهن ، فى ألوان عاطفية ممزوجة بألوان ، من شوق وعطف وحب وحنان .

زاد عاطفة الأمومة فى صدر عائشة توقداً ، ما لمست من حب النبي لخديجة ، إذ كانت ربة البيت وأم العيال ؛ عزّ ذلك على عائشة بعد إذ خذلتها الحقيقة ، فراحت تلتمسه عن طريق الخيال ؛ أتت

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

رسول الله يوماً وقالت له وهى تترجم عن حزن حزين ، وقلب كليم : لكل نسائك يا رسول الله كُنًى إلا أنا . فقال لها الرسول : إن شئت فتكنّى بابنك عبد الله . وعبد الله هذا هو ابن أختها أسماء ، كانت خالته عائشة شديدة الكَلَف به والحب له ، ومن ذلك الحين أصبحت كنيتها أم عبد الله ؛ ولقد كان لعائشة كسائر أزواج النبى كنية سماوية تزدهين ويشنف سماعها أذانهن ؛ هذه الكنية هى : أم المؤمنين . خلع حليتها عليها جميعاً كتاب الله الكريم فى قوله الحكيم : « النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، وأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ » ظلت عائشة طروباً بهذه الكنية القرآنية ، يهز أوتار قلبها أن يناديها مناديها فى كل حين بأم المؤمنين . وكأنما كان لرنين هذه الكنية فى قلبها سحر عجب ، وطرب أى طرب ، فلم تكن لترضى أن تعدل بها سواها ، ولا أن يغير شىء من لفظها ولا موسيقاها .

نادتها امرأة يوماً : يا أماه ، فقالت لها عائشة : أنا أم رجالكم ، ولست أم نسائكم . وقال لها ابن عباس عليه وعليها الرضوان : يا أم المؤمنين ، ماسميت أم المؤمنين إلا لتسعدى ، وإنه لاسمك قبل أن تولدى .

أما ألقاب عائشة عليها الرضوان فكثيرة كريمة ، لنيلها وسام البراءة من كتاب الله ، ولمكانتها التى لا تزاحم من قلب رسول الله ؛ فهى : المبرّأة ، والصادقة ، والصدِّيقة بنت الصدِّيق ، لصدق أحاديثها وأقوالها ، وهى أيضاً حبيبة رسول الله ، أو حبيبة حبيب الله . وكان مسروق إذا حدث عنها يقول : حدثتنى الصدِّيقة بنت الصدِّيق ، حبيبة حبيب الله ...

ولقد كان لهذه الألقاب الكريمة فعل السحر فى نفوس السامعين ، فقد أساء ذكرها أحد الرجال فى موقعة الجمل ، فوبّخه عمّار بن ياسر قائلا له : أتؤذى حبيبة رسول الله ؟! فما وسع الرجل إلا أن أمسك واستخذى .

حب الرسول لها ، ورفقه فى معاملتها :

كان الرسول عليه الصلوات يحرص الحرص كله أن يكون الزوجَ العادل بين نسائه ، فى الرفق بهن ، والإنفاق عليهن ، وتقسيم الأيام والأوقات بالعدل والقسطاس بينهن ، ولكنه عليه الصلوات كان يؤثر عائشة على سائر أزواجه فى كل ما له صلة بالقلب ، فيقول عندما يقسم بين نسائه ويعدل : « اللهم هذا قَسْمى فيما أملك ، فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك » يعنى الحب فى القلب .

كان الرسول مولعاً بزوجه عائشة الوالع

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

كله ، لمانٍ فيها لم تجتمع لغيرها ، ففيها النضارة والشباب ، والذكاء وسرعة الخاطر ، وهى قبل ذلك وبعد ذلك ، ابنة أحب الرجال إليه ، يرى فيها مثلا أعلى من جهاد الأب المخلص ووفائه .

لم يستطع سلطان الزواج أول الأمر أن يُخضع نوازع الطفولة البريئة فى نفس عائشة ، وإنها الحديثة السن ، الحريصة على الأخذ بأسباب اللهو البرىء ؛ وها هى ذى تتحدث عن نفسها فتقول : دخل علىّ رسول الله عليه صلوات الله وأنا ألعب بالبنات ، فقال : ما هذا ؟ فقلت : خيل سليمان . فضحك . وكان فى بعض الأحيان يشاطرها اللعب بالبنات ، ويقول لها عند دخوله عليها وهى تلعب بهن : مكانكنّ . حتى لا تخجل .

دخل عليها عليه السلام يوما وهى تلعب بالبنات ، واستتر بثوبه منها مداعباً لها وقال لها : أبو عُوانة[1] . لكيلا تمتنع . وكثيراً ما كان يدخل عليها والجوارى عندها فيستحين ويخرجن ، فلا يلبث الرسول أن يخرج وراءهن فيسرِّبهنّ[2] إليها ليلعبن معها بل كان عليه الصلوات يلاعبها بنفسه إذا لم يجد أطفالا تلعب معهن !

خرجت عائشة مع الرسول فى أحد أسفاره ، وهى صغيرة لم تبدن بعد ، فتسابقا فسبقته ، فتلبثَ الرسول حتى بدنت وخرجت معه مرة أخرى فتسابقا فسبقها ، فضحك الرسول عليه الصلوات وقال لها : هذه بتيك .

ما كان أرقّ قلب الرسول وأعطفه على عائشة ! ثم ما كان أحرصه أن يشبع فيها رغبات الطفولة ، فلا يحرمها منظراً تصبو إليه نفسها ؛ تشهد بذلك عائشة نفسها : لقد رأيت رسول الله عليه صلوات الله يقوم على باب حجرتى ، والحبشة يلعبون بالحراب ، ورسول الله يسترنى بردائه ، لأنظر إلى لعبهم ، من بين أذنه وعاتقه ، ثم يقوم من أجلى ، حتى أكون أنا التى تنصرف .

ومن مظاهر حرص الرسول على راحتها ، أنه كان إذا دخل عليها وهى نائمة ، يخرج فى رفق وهدوء ، حتى لا يقطع عليها نومها . كما أن من مظاهر اهتمامه بها اهتمامه بمراقبة كل ما يصدر منها ؛ قال لها يوماً : يا عائشة ، ما يخفى علىّ حين تغضبين على ، وحين ترضين ، قالت عائشة : بمَ تعرف ذلك يارسول الله ؟ قال : أما حين ترضين فتقولين : لا ورب محمد ، وأما حين تغضبين فتقولين : لا ورب ابراهيم .

---

(١) العوانة : النخلة الطويلة

(٢) يسربهن : يدخلهن .

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

قالت عائشة : صدقت والله يا رسول الله ، إنما أهجر اسمك .

إذن لقد أحب رسول الله عائشة الحب كله ، وكاشفها بهذا الحب المرة بعد المرة ، فكان يحلو له أن يقول لها : إن حبها فى قلبه كالعروة الوثقى ، كما كان يحلو لها أن تسأله عن العروة الوثقى فيقول لها : إنها لم تتغير ولم تتبدل .

كان الرسول يحب عائشة لذاتها ، ولأنها كانت تنزع أباها فى وفائه وذكائه . سأله يوما عمرو بن العاص : يا رسول الله ، من أحب الناس إليك ؟ قال : عائشة ، قال : إنما أقول من الرجال ، قال : أبوها .

وهكذا صار حبّ عائشة غلاّبا ، وأصبح لقبها: حبيبة رسول الله ، أو حبيبة حبيب الله .

كانت جماهير المسلمين يؤثرون عائشة بالرعاية أسوة بالرسول ، وكانوا يرسلون الهدايا إليه وهو فى بيتها ، أثار ذلك سائر أزواج الرسول ، فاجتمعن وطلبن إلى فاطمة البتول ، بنت الرسول ، أن تطلب لهن من أبيها المساواة بعائشة ، فلما دخلت فاطمة عليه ، وتحدثت فى حضرة عائشة إليه ، قال لها أبوها عليه الصلوات : أىْ بنيّة ، ألستِ تحبين ما أحبُّ ؟ فقالت بلى ، قال : فأحبى هذه ، مشيراً إلى عائشة .

وقيل إن أزواج الرسول أرسلن أمّ سلمة إليه يسألنه أن يأمر الناس أن يرسلوا هداياهم إليه أينما كان ، فما كان جواب الرسول لأم سلمة إلا أن قال : لا تؤذينى فى عائشة ، فإن الوحى لم ينزل على فى لحاف واحدة منكن غير عائشة .

جمعت عائشة بين ثيابها كل معانى الأنوثة الرقيقة الكاملة ، فكانت خير زوج مثالية لخير زوج مثالى ، يحب فيها رسول الله فوق وسامتها وقسامتها ، وظرفها ودماثتها ، الخاطر السريع ، والقلب الفرح ، والمزاج الطروب ، فكانت حرية أن تزيل عن زوجها المثالىّ متاعب الحياة وأن تشيع روحها الشابة المرحة فيمن حولها جوًّا باسماً ترتاح إليه نفس هذا المصلح العظيم .

كانت عائشة الزوج الحريصة ألا يقع نظر زوجها منها إلا على كلّ ما يسر ويطرب ، ترى فى ذلك خير عنوان للحب والوفاء للزوج ؛ دخلت عليها امراة وهى مُعَصْفَرة ، فسألتها عن الحِفَاف ، فقالت لها : إن كان لك زوج فاستطعت أن تنزعى مقلتيك فتضعيهما أحسن مما هما فافعلى .

من أجل ذلك كله كان الرسول بعد إذ أسكنها السوادين من عينه وقلبه ، يحوطها ويحميها ، حتى من أبيها ؛ سمع

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

أبو بكر أن عائشة ترفع صوتها على الرسول ، فاستأذن عليه وجذب عائشة ليلطمها وينهرها وهو يقول : لا أراك ترفعين صوتك على رسول الله ! فينهض الرسول ليحجزه ، ويقول لها بعد خروجه مُلاطفاً مسترضياً : أرأيت كيف أنقذتك من الرجل ؟

ثم يعود أبو بكر ليجدهما قد اصطلحا فيقول لهما : أدخلانى فى سلمكما كما أدخلتمانى فى حربكما . وكثيراً ما كانت عائشة تنتهز الفرص لِتَدلّ بمكانتها من قلب الرسول على مسمع من الرسول ؛ ولتظل منه ملء السمع والبصر والفؤاد جميعاً . ولْندع عائشة تتحدث عن ذلك ، فتقول :

دخل علىّ رسول الله يوما فقلت : أين كنت منذ اليوم ؟ قال : يا حميراء ، كنت عند أم سلمة ، قلت : ما تشبع من أم سلمة ! فتبسم . ثم قلت : يارسول الله ، ألا تخبرنى عنك ، لو أنك نزلت بِعُدْوتَين إحداهما لم تُرعَ والأخرى قد رُعيت ، فأيّهما كنت ترعى ؟ قال : التى لم تُرع ، قلتُ : فأنا لست كأحد من نسائك ، كل امرأة من نسائك قد كانت عند رجل . تعنى أن رسول الله لم يتزوج بكراً غيرها . فتبسم رسول الله تبسم الإعجاب والرضا والارتياح .

ظل الرسول يخص عائشة بأوفر قسم من قلبه طول حياته ، لما امتازت به عن سائر نسائه ، ولعل مقام النبوة الكريم ، تحرى أن يكون هذا الإيثار ضربا من ضروب العدل على هذا الاعتبار ، وكان يحلو لعائشة أن تفاخر بمكانتها من قلب الرسول فتقول : أية امرأة كانت أحظى عند زوج منى ؟ !

وما كان قلب عائشة ليتسع بعد حب الله لشىء غير حب رسول الله ، إذ كان قلبها يبادل قلبه حباً بحب وإخلاصاً بإخلاص . ولقد كانت غيرتها التى لا تفتر حرارتها من سائر أزواجه أبرز عنوان لهذا الحب وهذا الإخلاص ، ولعلنا أن نعرض لشىء من مظاهر هذه الغيرة الغيور فى مقال تال إن شاء الله .

قالت عائشة : بعدإذ اشتد مرض الرسول استأذن نساءه أن يُمرّض فى بيتى فأذنّ له . وقد لازمته عائشة خلال مرضه تسهر عليه وتمرضه وتدعو له حتى قال كلمته الأخيرة : « اللهمّ الرفيق الأعلى » قالت عائشة : قبض رسول الله ورأسه بين سَحْرى ونحْرى ، فلما خرجت نفسه لم أجد ريحاً قط أطيب منها . عليه وعليها من المولى أفضل الصلوات فى المحيا والممات .

عبد المغنى المنشاوى

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

التجديد والتوسيع في الحرم النبوي

قد احتفل رسميا في شهر ربيع الأول الماضي بإتمام تجديد وتوسيع قسم كبير من الحرم النبوي الشريف، وهو القسم الذي يحيط بثلاث جوانب من صحن المسجد المعروف بالحصوة. فقد كانت أعمدة هذا القسم آخذة في التلف، مما دعا الحكومة السعودية في الماضي إلى التفكير في دعمها واستبدال التالف منها بغيره. ورأت أن تستشير لفيفا من كبار المهندسين، فوفدوا إلى الحرم الشريف وقاموا بدراسة فنية كاملة، ثم أشاروا على الحكومة بضرورة تجديد المباني بإعادة إنشائها بدلا من الترميم الذي لا يجدي إلا يسيرا، وأيضا مع التوسع في المساحة. ثم وضعوا مشروعا شاملا للعمارة استغرقت دراسته وتحضير تصميماته ورسوماته أكثر من ستة أشهر. وقد خطت الحكومة السعودية خطوة مباركة إذ قررت الشروع فورا في تجديد القسم الفسيح السابق ذكره؛ لأن حالة أعمدته كانت أكثر سوءا. كما أقرت أعمال التوسيع. وهذا الأمر قد استدعى نزع ملكيات كثيرة من المباني المحيطة بالمسجد من جوانبه الثلاثة، بلغت مساحتها نحو الثلاثين ألفا من الأمتار المربعة، وذلك لتوفير المساحة الإضافية المطلوبة للمسجد. وأيضا لعمل شوارع متسعة تحيط به، وقد قدرت الأملاك المنزوعة لأصحابها بأوفى ثمن.

وقبيل الشروع في العمل هب المسلمون في مختلف بقاع الأرض للاكتتاب في تنفيذ هذا المشروع الجليل، ولكن الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله ردّ جميع التبرعات، وأعلن أن جميع المصاريف اللازمة للمشروع ستكون من ماله الخاص. وكذلك فعل جلالة الملك سعود من بعده. وهذا ذخر كبير يدخر لهما في الآخرة.

وإن هذا التوسيع الذي احتفل بإتمامه هو التوسيع الثامن للحرم النبوي الشريف منذ أن أنشأه رسول الله صلى الله عليه وسلم إثر قدومه إلى المدينة المنورة في شهر

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

ربيع الأول منذ ١٣٧٥ عاما . وقد كانت مساحة ذلك المسجد حينذاك — كما روى يحيى بن يحيى الليثى صاحب الإمام مالك رضى الله عنهما — أربعة وخمسين ذراعا من القبلة إلى حده الشمالى ، وثلاثة وستين ذراعا من المشرق إلى المغرب . ولا تزال هذه المساحة محددة إلى يومنا هذا بالأعمدة المذهّبة المحيطة بالروضة الشريفة ، والمعروفة بالأعمدة المفرّغة ، وذلك لما فيها من النقوش المفرغة .

١ — ولما فتح الله على رسوله مدينة خيبر ، وكان عدد المسلمين قد زاد ، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بزيادة مساحة المسجد حتى صارت مائة ذراع فى مائة ذراع تقريبا . وهذا هو التوسيع الأول للمسجد . وكان ارتفاع المسجد سبعة أذرع وكانت أساطينه (أعمدته) من جذوع النخل . وقد راعى كل من جدد المسجد فيما بعد مواقع هذه الأساطين التى كان يطلق على بعضها أسماء لا تزال محفوظة إلى يومنا هذا كأسطوانة أبى لبابة التى ربط بها نفسه ، وأسطوانة الحرس ، والأسطوانة المخلقة ، واسطوانة عائشة . . الخ . ويمكن الآن تحديد هذه المساحة المباركة بالسور النحاسى من جهة القبلة ، وبالمقصورة الشريفة من جهة الشرق ، وبالحصوة من جهة الشمال ، وبصف من الأعمدة مطلية تيجانها باللون الأخضر ومكتوب فيها « حد المسجد النبوى » وتقدر المساحة حسب ما كان عليه المسجد أيام النبى صلى الله عليه وسلم بنحو ٢٥٠٠ متر مربع .

٢ — وقد قام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بالتوسيع الثانى للمسجد ، فزاد فى مساحته من جوانبه الثلاثة : القبلى والغربى والشمالى ، أما الجانب الشرقى فلم يمسه ؛ لأنه كانت فيه حجرة عائشة التى دفن فيها النبى صلى الله عليه وسلم ، وحجرات باقى زوجاته ، وتبلغ هذه الزيادة نحو ١١٠٠ متر مربع .

٣ — والتوسيع الثالث قام به أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، فزاد على الجوانب الثلاثة التى زادها عمر بن الخطاب ، وتبلغ مساحة زيادته نحو ٥٠٠ متر مربع . ومما هو جدير بالذكر أن الزيادة التى زادها من جهة القبلة ظلت ثابتة إلى يومنا هذا ولم يزد عليها أحد . وقد أنشىء فيها محراب يطلق عليه المحراب العثمانى نسبة إليه . وإذا أضفنا مساحة هاتين الزيادتين إلى المساحة الأصلية ، نجد أن المسجد فى عهد الخلفاء الراشدين بلغت مساحته نحو ٤١٠٠ متر مربع .

٤ — وقد قام الخليفة الأموى الوليد ابن عبد الملك بالتوسيع الرابع ، وقد امتاز هذا التوسيع بأنه شمل الجانب الشرقى ،

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

للمسجد ، والذى كانت فيه حجرات زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأدخلها جميعها وغيرها فى المسجد . وقد بكى الناس عند إزالتها . وقال سعيد بن المسيب « والله لوددت أنهم تركوها على حالها ، ينشأ ناس من المدينة ويقدم قادم من الآفاق فيرى ما اكتفى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته ، ويكون فى ذلك ما يزهد الناس فى التكاثر والتفاخر فيها » .

وقد بلغت مساحة هذه الزيادة نحو ٢٣٥٠ متراً مربعاً ، فأصبحت مساحة المسجد نحو ٦٤٥٠ متراً مربعاً . وقد اقترن هذا التوسيع بتجديد عمارة المسجد جميعها . وقد أشرف على تلك العمارة عمر بن عبد العزيز حين كان أميراً على المدينة المنورة . ومما يؤثر أنه حين شرع فى نزع الملكيات اللازمة للتوسيع جاءه أمر من الوليد يذكر فيه « من باعك فأعطه ، ومن أبى فاهدم عليه وأعطه المال ؛ فإن أبى أن يأخذه فاصرفه إلى الفقراء » .

وكانت عمارة الوليد نقطة تحول من حالة البساطة الأولى التى كان عليها المسجد النبوى ، إلى حالة الفخامة المعمارية التى كان يتنافس فيها الملوك . فقد وشيت حيطان المسجد بفصوص الفسيفساء التى جلبت من بلاد الروم ، وكسى سقفه بالذهب ، وفرشت أرضه بالرخام ، وجعلت أساطينه من المرمر بعد أن كانت من جذوع النخل ، وبنيت له أربع مآذن .

أما التوسيع الخامس فقد قام به المهدى من أوائل خلفاء الدولة العباسية . وقد كان هذا التوسيع فى جانب واحد من المسجد ، وهو الجانب الشمالى الذى فى مؤخرة المسجد ، وقد بلغت مساحته نحو ٢٤٥٠ متراً مربعاً . وبذا تكون مساحة المسجد النبوى فى عهد الدولة العباسية نحو ٨٩٠٠ متر مربع .

٦ — وقد ظلت مساحة المسجد من ذلك العهد إلى أيام قايتباى ملك مصر كما هى ، وحين قام قايتباى بعمارة المسجد وتجديده وبناء المقصورة النبوية والقبة التى تعلوها ، زاد فى المسجد من الناحية الشرقية حيث يوجد باب جبريل ، مساحة صغيرة يبلغ قدرها نحو ١٠٠ متر مربع .

٧ — وعندما قام السلطان عبد المجيد من أواخر سلاطين تركيا بتجديد عمارة المسجد تجديدا شاملا ، زاد فيه مساحة أخرى صغيرة ملاصقة لزيادة قايتباى ، كما زاد مساحة كبيرة فى مؤخرة المسجد ، ولكنه جعل بعضها مخازن لزيت القناديل ومفروشات المسجد ، وبعضها مكاتب لتحفيظ القرآن وتعليم الأولاد ، وأنشأ فوق ذلك دورا علويا كانت فيه مكتبة الحرم

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

وتبلغ مساحة هذه الزيادة نحو ١٣٠٠ متر . وبهذا تصبح مساحة المسجد النبوى قبل التوسيع الأخير ١٠٣٠٠ متر مربع .

وفى هذه الفترة الطويلة بين التوسيع العباسى والتوسيع المجيدى كانت أعمال الترميم والتجديد تتوالى على المسجد ، وخصوصا لسقفه الذى كان من الخشب ، وكان عرضة للحريق ، وقد حرق مرتين الأولى سنة ٦٥٦ هـ والثانية سنة ٨٨٦ هـ حتى قام السلطان سليم الثانى فعمله جميعه من القباب الصغيرة ، ولم يكن يوجد قبل ذلك سوى قبة واحدة فوق المقصورة الشريفة أنشأها الناصر قلاوون . ولما بنى قايتباى المقصورة الشريفة على الوضع الذى هى عليه الآن ، بنى على تلك القبة قبة أخرى أعلى منها ، واستمرت حتى عهد السلطان محمود سلطان تركيا ، فجددها فى سنة ١٢٤٣ هجرية ، وكساها بألواح من الرصاص صيانة لها من تأثير الأمطار ، ثم دهنها باللون الأخضر ، فسميت بالقبة الخضراء .

كان المسجد قبل عمارة السلطان عبد المجيد مبنيا من الحجارة السوداء الصلبة ، فلما أعاد بناءه على طراز تركى بديع استعمل حجارة وأعمدة ذات لون جميل مائل للاحمرار وقد جلبها من محجر يقع على مقربة من جبال وادى العقيق ، ولكن هذه الحجارة بالرغم من جمال لونها لم تكن صلدة مانعة لتشرب الرطوبة كالحجارة السوداء الأصلية ، ولذلك تطرق التلف إلى قواعد الأعمدة المحيطة بصحن المسجد ، فتعرضت لتعاقب الرطوبة ثم الجفاف إذا ما أصابتها أشعة الشمس . ومثل هذا الفعول يؤثر علميا على الأحجار ويعمل على تحطيمها ، وهذا ما دعا إلى القيام بالعمارة الجديدة المصحوبة بالتوسيع .

A — وقد بلغت مساحة التوسيع الأخير للمسجد النبوى ، وهو التوسيع الثامن ، ويطلق عليه التوسيع السعودى ، نحو ستة آلاف متر مربع ، وقد أصبحت مساحة المسجد النبوى الآن على وجه التحديد ١٦٣٢٧ متراً مربعاً .

أما أعمال البناء الجديد فقد شمل مساحة قدرها نحو ٦٢٥٠ متراً مربعاً من عمارة السلطان عبد المجيد ، وعلاوة عليها مساحة التوسيع المذكور ، أى أن مجموع مساحة العمارة السعودية بلغ ١٢٢٧١ متراً مربعاً بالضبط . وتعتبر تلك العمارة الجديدة مفخرة معمارية . وقد اتبع فيها طراز عربى فخم بديع ، واستعملت فيها أحدث الوسائل الإنشائية وأفضل المواد وأغلاها وأطولها عمراً ، وقد جلب من أجلها من خارج الحجاز مايزيد على الثلاثين ألف طن من الحديد والأسمنت المختلف الأنواع ، والأخشاب ، وأنواع النجارة والزخارف النحاسية ، وغير ذلك . ولم يقصر المختصون فى النفقة على شىء فى العمارة ، فكانوا يتوخون المتانة

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

والفخامة بأى ثمن ؛ ومن ذلك أنهم بدلا من أن يقوموا بعمل النقوش المعمارية والزخارف بالأعمدة والعقود والأسقف والحوائط من الداخل بالطلاء كما هو المعتاد فإنهم قاموا بعملها جميعها ومعها الواجهات الخارجية أيضاً من الأحجار الصناعية المصقولة (الموزايكو) وهى تكلف أكثر من أربعة أضعاف الطلاء العادى . وفى هذا السبيل أنشأوا مصنعاً خاصاً خارج أبيار على ، واستقدموا له عدداً من الفنيين الإخصائيين ، واستعملوا فيه الآلات الميكانيكية الحديثة لمختلف الأغراض ، وقد عمل فيه أكثر من أربعمائة شخص . وقد بلغ عدد المهندسين الذين عملوا فى العمارة ١٤ مهندساً منهم ١٢ مصرياً، وباكستانى واحد، وسورى واحد ، وعدد الصناع ٢٠٠ وعدد العمال أكثر من ١٥٠٠ عامل . وبلغ عدد موظفى مكتب الإدارة ٥٠ موظفاً وبلغ عدد الأعمدة مابين مربع ومستدير ٧٠٦ عموداً ، والمسافة بين كل منها ستة أمتار ، وبلغ عدد العقود ٦٨٩ عقداً ، وعدد النوافذ ٤٤ نافذة وقد عملت مئذنتان ارتفاع كل منهما ٧٠ متراً ، وعملت أربعة مداخل : الباب المجيدى ، والباب العزيزى ، والباب السعودى ، وباب آخر . وقد كان المقرر أن يكون ارتفاع الحوائط ٢٤ متراً حسب التصميم المعمارى الأصلى ، ولكن إخواننا الباكستانيين خافوا من أن يحجب هذا الارتفاع منظر القبة الخضراء فسموا لدى الحكومة السعودية لكى لايزيد الارتفاع عن الحائط الأصلى للمسجد ؛ ولذلك جعل الارتفاع نحواً من ١٤ متراً ، ولكنه لايزال ارتفاعاً مناسباً . واهتمام المسلمين البالغ برؤية القبة الخضراء لايرجع لذاتها ولكن لكونها تدل على موقع البقعة الطاهرة الشريفة التى كانت تضم مقر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عند حياته ، ومثواه بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى .

وقد أصبح المسجد النبوى الآن يضم قسمين كل منهما ذو طراز معمارى مخالف ؛ فالقسم الأمامى الذى من ناحية القبلة ، والذى كان يقع فيه المسجد النبوى الأصلى لايزال من عمارة السلطان عبد المجيد ذات الطابع التركى . والقسم الذى يليه من جهة الشمال وهو أكبر القسمين ، أصبح من طراز عربى حديث ممتاز . والآن وقد اتجهت نية جلالة الملك سعود إلى توسيع وتجديد المسجد الحرام بمكة فى مدى خمس سنوات — جزاه الله عن ذلك خير الجزاء — نأمل بعد ذلك أن يعود إلى تجديد القسم الباقى من المسجد النبوى على النطاق الواسع الذى رسمته اللجنة الفنية ، وأن ينشىء قبة كبرى فوق القبة الخضراء كما فعل قايتباى ، وأن يزود القسم الجديد بالهواء المكيف صيفاً وشتاء . مد الله فى عمره ، وأجزل ثوابه ، وحفظه ذخراً للإسلام والمسلمين .

Not-for-salle https://t.me/megallat/ جروب مجلات قديمة - تلجرام

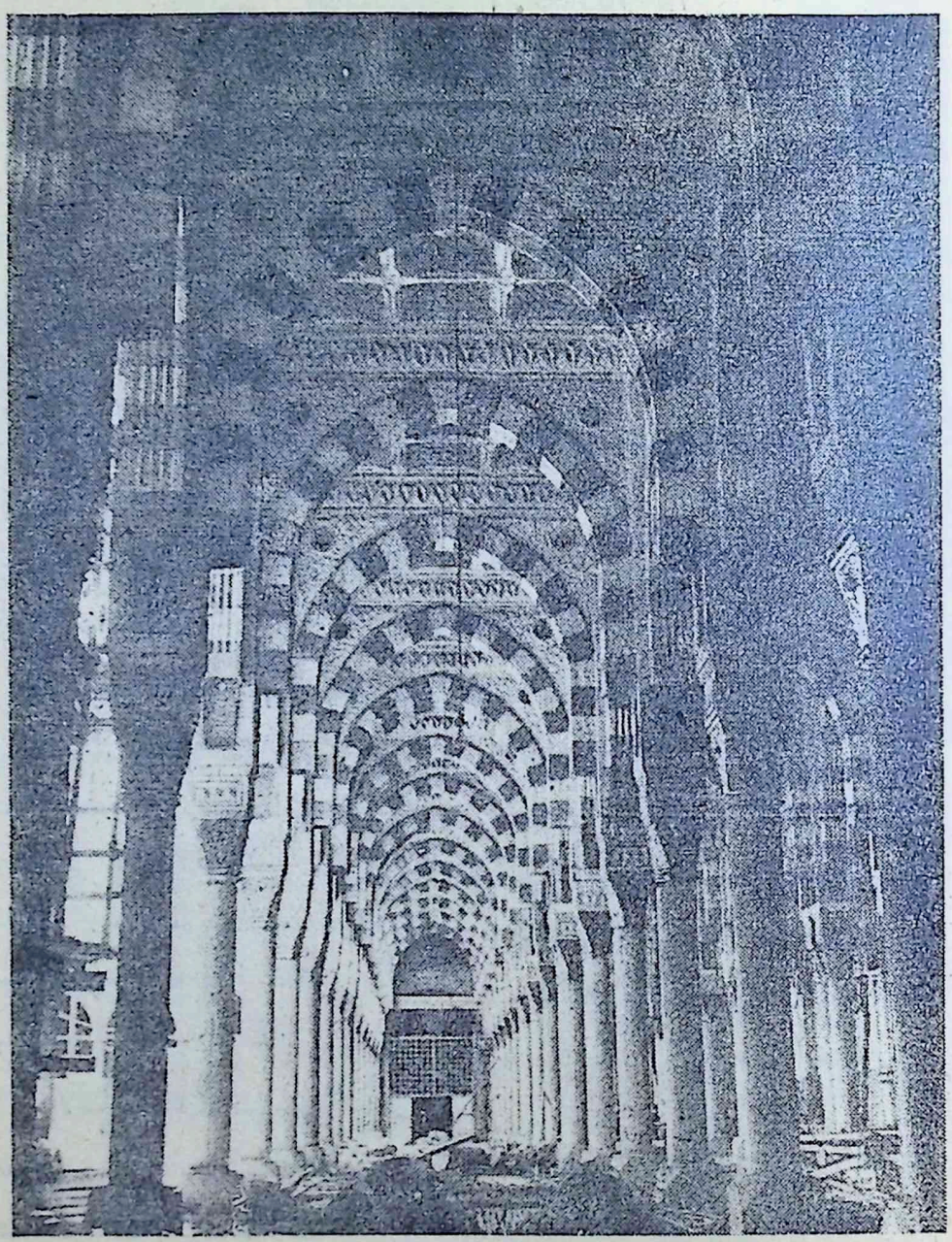

صورة الجناح الجديد فى الحرم

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

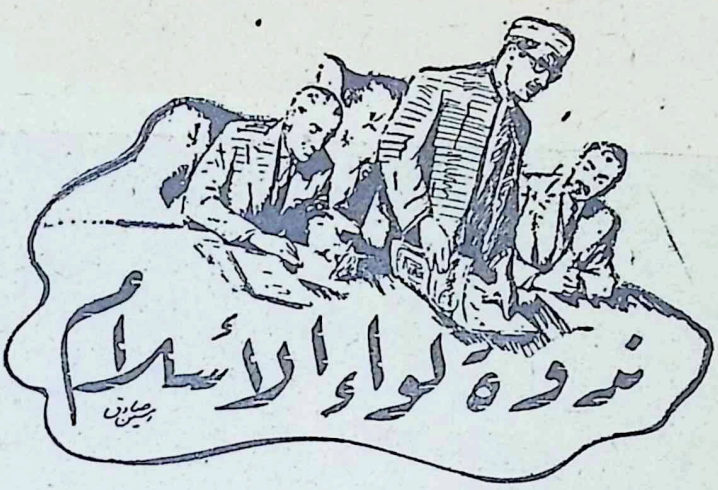

فى مساء الثلاثاء ٩ ربيع الأول سنة ١٣٧٥ ، ٢٥ أكتوبر ١٩٥٥ — انعقدت ندوة لواء الإسلام ، بدار لواء الإسلام ، وقد حضرها الأساتذة :

أحمد حمزة ، سماحة مفتى فلسطين الحاج محمد أمين الحسينى ، فؤاد شيرين ، محمود سليمان غنام ، منصور فهمى ، خطاب محمد ، أمين عز العرب ، الدكتور جودت ، سليمان العقاد ، يوسف مكادى ، مصطفى زيد ، سيد سابق ، سليم أبو العلا ، دكتور عبد المنعم بطاطه ، محمد سابق .

والأساتذة : محمد البنا ، حسن الخطيب ، محمد أبو زهرة ، عبد الوهاب حمودة ، محمد كامل البنا ، محمد على شتا .

وقد افتتح الأستاذ أحمد حمزة الندوة بالكلمة التالية :

تسجل الندوة التحية الطيبة لسادن الحرمين الشريفين الملك سعود المعظم ، لما قام به من توسيع للمسجد النبوى الذى هو أحد المساجد الثلاثة التى تشد إليها الرحال . وإن الندوة لتشعر بالغبطة والسعادة لما اعتزمه جلالته وأخذ فى تنفيذه من توسعة الحرم المكى الذى هو أول بيت وضع للناس ، وفيه كعبة المسلمين ، وإليه يحج المؤمنون من كل فج عميق ، وإن الندوة لتضرع إلى الله أن يكون عهده عهد بناء لمجد العرب وعزة الإسلام .

ثم جرى بين الجميع سمر علمى فى الموضوعات التالية :

١ — استبدال النقد بالهدى .

٢ — زواج المسلم بالكتابية

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

١ ــ استبدال النقد بالهدى .

أثار هذا الموضوع كتاب ورد إلى المجلة من الأستاذ حافظ عمار وكيل محكمة استئناف القاهرة السابق يشير فيه إلى أن الأضاحى التى تذبح فى موسم الحج لا ينتفع بها فقراء الحجاز ، بل تترك حتى تصير تراباً أو تأكلها الوحوش والطيور ، ويسأل عما إذا كان يجوز شرعا أن يتبرع الحاج بثمن الأضحية لعائلة فقيرة ثمنا لكساء أو مساعدة لهم فيما يحتاجون إليه من مطالب الحياة .

سماحة مفتى فلسطين :

حججت لأول مرة سنة ١٩١٢ ، وقد لاحظت ذلك ، وقد بحث هذا الموضوع منذ أمد بعيد ، ولم يتجه أحد وجهة التعطيل أو التبديل ، وفكر فى استغلاله بإنشاء شركة إسلامية لعمل مذابح منظمة ، وتجعل الحجيج يذبحون الهدى هناك ، ويستغلون الدماء واللحوم والجلود ، ليعود بالخير على هذه الشركة ، وعلى الحجاز .

الأستاذ أحمد حمزة :

لقد فكرت الحكومة السعودية فعلا فى إنشاء مصنع للانتفاع بلحوم هذه الماشية وجلودها ودمائها وسائر مخلفاتها .

الدكتور جودت :

بعد غد سيفتتح جلالة الملك سعود أول مدبغة لدبغ الجلود المتخلفة عن الأضاحى برأس مال ضخم يبلغ ٤٠٠,٠٠٠ جنيه ، وقد أقيمت هذه المدبغة على أحدث نظام ، وقامت بتوريد أحذية الجيش السعودى من إنتاجها ، فيبدو أن الحكومة فى طريقها إلى تنظيم استغلال مخلفات الأضاحى .

الأستاذ محمد البنا :

الجواب : أن النحر فى الهدى والأضحية مقصود لذاته ، أى أنه عبادة لابد لكل مكلف أن يباشرها ، والقيمة لا تقوم مقامها ؛ ولذلك نجد أن علماء المذاهب الأربعة اختلفوا فى صدقة الفطر هل تجزىء القيمة وتقوم مقام الزكاة أو لا ، فأبو حنيفة ذهب إلى أنها تجزىء ، والشافعى ذهب إلى أنها لا تجزىء ؛ أما فى الهدى وفى الأضحية فلم يختلفوا واتفقوا جميعاً على أن الأضحية يجب أن تذبح ، ولو أن مكلفاً اشترى شاة مذبوحة من عند جزار مثلا لا تجزئه فى الأضحية ، فلا بد من إراقة الدم حتى يتم الواجب أو تتم السنة . أما ضياع هذه اللحوم أو بقاؤها فى الحجاز حتى تتلقفها الطيور أو الحيوانات ، فهذه مسألة لا تؤثر فى المطلوب الشرعى ، وعهدتها على المسلمين الذين يتركون هذه الدماء حتى تكون عرضة لمثل هذا ، وعلى المسلمين المشتغلين بالاقتصاد والتجارة أن يفكروا فى كيفية الانتفاع بمثل هذ المسائل .

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

الأستاذ حسن الخطيب :

لى كلمة قصيرة فيما قيل ، فلقد وفى فضيلة الأستاذ البنا الموضوع حقه من حيث آراء الأئمة والفقهاء ، ولكن لأجل أن يقتنع السائل الذى أرسل برسالة إلينا لابد أن يتعرض لبيان الحكمة فى إراقة الدماء ، وهذا الذى ينبغى أن يكون موضع ندوتنا حتى نستطيع أن نقنع هؤلاء الذين يسألون ، وعلى ذلك أنا أعرض على الندوة باقى هذا السؤال : هل ما قاله الفقهاء من أن الغرض من التضحية هو إراقة الدماء معقول المعنى أم غير معقول المعنى ؟

الأستاذ محمد أبو زهرة :

السؤال يشكو فيه صاحبه مما بلغه من أن اللحوم تبقى حتى تتعفن أو تنهشها الطيور فلا ينتفع منها إنسان ، ثم يسأل ألا يجوز فى هذا الأمر أن يعوض الذبح بدفع القيمة ؟

وهنا نقول : إن النص صريح فى الأمر بالذبح وفى محله ، إذ يقول سبحانه وتعالى : « حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ » فهو عيَّن الذبح ، وعيَّن محل الذبح ، فليس لنا أن نخرج عن النص إلا إذا وجدنا ضرورة تلجئنا إلى الخروج عنه ، وحتى على فرض أن النص معقول المعنى يصح أن يقاس عليه ، فلا نترك الأصل ما دام الأصل ممكناً ، ولا ضرورة تحملنا على تركه ، فإنه من الممكن كما ذكر سماحة المفتى وكما ذكر الأستاذ أحمد حمزة أن ينتفع بهذه اللحوم وبجلودها وبدمائها لآماد طويلة مع تحقق معنى الذبح ، فتكون قد دفعنا الضرر وجلبنا نفعاً ، ونفذنا أوامر القرآن وأمر الرسول .

إننى لا أعتقد أن ثمة محلا لهذا السؤال ما دمنا لم نستنفد كل الحيل فى الانتفاع ولم يبق إلا أن نحاول القياس .

لقد ذكر الأستاذ أحمد حمزة أن الحكومة تفكر فى إنشاء مصنع لحفظ اللحوم وللاستفادة من مخلفات الذبائح . وإذن فلا توجد ثمة حاجة لعمل القياس ، إنما الحاجة الملحة ، هى فى أن نعمل على تنفيذ أمر الشارع على أكمل وجه ، وكل من يطالب الفقهاء بعمل القياس أو بالتحلل من النص حيث لا ضرورة تلزم بالتحلل إنما يفر من المجهود الاقتصادى الواجب إلى فتوى شرعية لا أساس لها ، وكل الفقهاء الذين قالوا إن القيمة تجوز دفعاً لهذا الضرر قد تهجموا على الحقائق الشرعية من غير حاجة إلى التهجم .

إن النبى كان يذبح هديه ، وكذلك الصحابة والتابعون ، وما زال هذا الأمر إلى عصرنا هذا ، فلماذا نبتدع بدعة

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

القيمة ؟ وإنى أرى أن النص نص تعبدى تجب إطاعته ، وكل مناسك الحج أو جلها على الأقل نصوص تعبدية ، ونستطيع أن نتلمس الحكمة من غير أن نتلمس العلة ، وفرق بين الحكمة والعلة ، فالحكمة تشير إلى المصلحة الواضحة فى النص ، أما العلة فإنها تومىء إلى أنه يتعدى الحكم حيث وجدت العلة . والحكمة واضحة ؛ فإن الله سبحانه وتعالى جعل من ذرية إبراهيم من يقيمون حول البيت الحرام ، ووعدهم ، إجابةً لدعاء إبراهيم ، بأن يدر عليهم من أخلاف الرزق ما يمكنهم من العمل حول البيت الحرام ، فكان الحج هو ذلك الموسم الذى ينتفع به أولئك الذين يقيمون حول البيت المقدس ، فإذا كان القرآن والنبى قد أوجبا الذبح فلأن فيه توسعة على سكان البيت الحرام ، وأعتقد أن النقود لا تكفى للتوسعة ؛ لأن الشخص قد يأخذ النقود وينفقها فى غير التوسعة بالقوت ، فالتوسعة بالقوت أمر مقصود لذاته ، فإذا كان القوت أكثر من غذاء يومين أو ثلاثة ، فلا مانع من أن نجعله غذاء شهر أو شهرين أو ثلاثة ، بحفظه بكل وسائل الحفظ الصناعية . ولذلك أرى أنه لا معنى مطلقاً لأن نفكر فى القيمة ، وكل تفكير فى القيمة هجوم على الشرع من غير أساس من الشرع .

الأستاذ محمد البنا :

قصدت فى كلامى إلى أن الذبح مقصود تعبداً ، مقصود لذاته ، ليس لمعنى آخر ، ولعلنا إذا أردنا أن نتوسع فى فهم النحر فى هذه الأمكنة المقدسة يصل بنا الذهن إلى أن هذه الأمكنة التى حمى فيها الطير والحيوان ، يريد ربها أن يغذى حتى الطير والحيوان ، فليس على المسلمين من حرج أن يتغذى من هذه الأضاحى التى تفضل عن حاجة الآدميين ما يصيبها من طير أو حيوان ، والشاعر العربى يمتدح بعض الشجعان ويقول :

تنأى الطير غدوته
ثقة بالشبع من جزره

فإذا بقى بعد ذلك شىء ، وتغذى منه الطير والحيوان ، فلا شىء يترتب على ذلك من الضرر ، أما التى تفسد وتتعفن فمسئوليتها على المقصرين من المسلمين ، وبعد هذا لعل فى الأمر رمزاً تاريخياً آخر لحادثة اسماعيل وابراهيم ، وهذا الرمز لا يتم إلا بالذبح .

الأستاذ محمد أبو زهرة :

لا يحرم صيد الحدأة والفأر والعقرب والكلب العقور والغراب ، وبقية سباع الطير فيها خلاف ؛ وإنى مع موافقتى على لُب ما قاله فضيلة الأستاذ البنا من أن الذبح لابد منه ، فإنى قد أخالفه بعض المخالفة فى

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

أن من الحكمة أن تأكل الطيور لحوم الهدى ، لأن الطيور التى تأكل من اللحوم هى سباع الطير ، وسباع الطير يحل صيدها ولا يحرم ، وغير سباع الطير تتغذى من النباتات وهى التى يحرم صيدها ، وهذه مخالفة جزئية .

سماحة مفتى فلسطين :

أعتقد أن أساس المسألة أنها تعبدية ، وفى المسائل التعبدية لا يجوز لنا أن نؤول أو نبدل عبادة بعبادة ، وإن كان كما تفضلتم لا يمكن معرفة العلة فى هذا الموضوع ففيها حكم لاشك فيها ، وعند الشارع من بعد النظر والحكم البعيدة مالا تستطيع عقولنا المحدودة أن تصل إليها .

الأستاذ منصور فهمى :

أعتقد أن فى الأمور التعبدية مراناً على الإيمان ، فالتسليم مران على تقوية معنى الإيمان .

والخلاصة

أن الهدى لابد منه ، ولابد من ذبحه فى محله ، ولا تغنى القيمة عنه مطلقاً بأى حال ، وأنه اذا حدث ضرر ، فعلينا أن نعمل على ازالة هذا الضرر ، وازالة الضرر تكون باقامة مصانع لتجفيف اللحوم والانتفاع بكل مخلفات الذبح ، وليس أحد بمستطيع ذلك الا الحكومة السعودية أو هيئات اقتصادية اسلامية تعمل فى ظلها .

٢ — زواج المسلم بالكتابية ، والكتابى بالمسلمة .

أثار هذا الموضوع كتاب وصل إلى المجلة من أحد مشتركيها يقول : الدين الإسلامى يبيح للمسلم أن يتزوج بكتابية ومنع أن يتزوج غير المسلم بمسلمة ، فما تعليل ذلك وما سنده من الشرع ؟

الأستاذ محمد البنا :

الذى أعلمه أن فقهاء أهل السنة اتفقوا على أن المسلم يجوز له أن يتزوج بكتابية ، وخالفهم فى ذلك فقهاء الشيعة فقالوا إن المسلم لا يجوز له أن يتزوج بكتابية ، وأولوا النص الوارد فى سورة المائدة فى قوله تعالى : « والمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ »(١) قالوا : المراد بالكتاب ، الكتاب الذى لم يحرف ، وهؤلاء حرفت كتبهم ، ونزل القرآن مشيراً إلى هذا

---

(١) الآية ٥ ونصها : « اليوم أحل لكم الطيبات ، وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم ، والمحصنات من المؤمنات ، والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن ... »

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

التحريف ، ونعى عليهم عقيدة الوثنية ، بقوله تعالى فى آية أخرى : « وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ ، وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ، ذٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ » .

ومعنى ذلك أن اليهود والنصارى أشركوا فى نظر الشيعة فلا يصح الزواج منهم . ولكن حجة الجمهور فى ذلك أقوى ؛ لأن الله تعالى سماهم أهل كتاب ، وأحل لنا الزواج منهم . أما الوثنيون فلا يصح الزواج منهم .

بقى الطرف الآخر من السؤال : لِمَ لا يجوز للكتابى أن يتزوج المسلمة ؟ والجواب على ذلك : أن المسلم إذا تزوج الكتابية يجعلها فى صف المسلمات ولها حقوق المسلمات ، وهو يحترم دينها ، ويعتقد أنه دين منزل من عند الله ، ويسرى عليها حكم الآية الكريمة : « وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ، وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً » . فهى مع مخالفتها له فى الدين ربة بيته ، وملازمته فى حله وترحاله ، ويعطيها من المودة والرحمة ما يعطى سواها من المسلمات ، حتى إن بعض المسلمين كان يجامل زوجاته بأن يوصلهم إلى معابدهم وإلى كنائسهم لتؤدى شعائر عبادتها . فهو لا يعتدى عليها فى شىء ، ولا يقاومها فى رأى علمى أو ثقافى أو اقتصادى . . . أما المسلمة إذا كانت عند المسيحى أو اليهودى والله تعالى يقول : « الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ » والرجل رب الأسرة وصاحب الحكم فى البيت ، والكتابى لا يعتقد بصحة الدين الإسلامى ، ولا يقول إنه دين منزل ، فهو لا يحترم شعائر دينها ، ولا يساعدها على أداء عبادتها ، بل ولا يسكت على ذلك ، وليس من المعقول أن نترك المسلمة ونعرضها لهذا الخطر فى العقيدة هذا التعريض ، بل المعقول أن نصونها ونحافظ على شعائرها وعقيدتها . ثم هناك أمر آخر وهو أن محمداً خاتم النبيين جاء بالدين الأخير الخاتم للأديان ، وليس من المنطق أن يقول إننى أتيت بدين فيه إصلاح لم يرد فى الأديان السابقة اقتضته سنة الترقى فى الدنيا ثم يفتح الباب لأتباعه حتى يخرجوا عنه ، وإباحة زواج الكتابى من المسلمة فتح لهذا الباب ، وليكون الدين متفقاً مع نفسه ومنطقياً يجب أن يحدد هذا النوع من الزواج[1] .

سماحة مفتى فلسطين :

أؤيد فضيلة الأستاذ البنا ، والحكمة فى هذا أننا نحن المسلمين نحترم الأديان التى سبقتنا ولا نؤذى زوجاتنا إذا كن من أهل الكتاب بأى شىء يمكن أن يجرح

(١) نشرت المجلة شيئا من هذه الحكمة فى العدد الثالث ص١٨٩ من السنة الثامنة .

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

عواطفهن ، بينما غيرنا من أهل الكتاب لا يؤمنون بديننا ولا بنبينا ، ولذلك فالحياة الزوجية لا يمكن أن تكون سعيدة ولا مصونة على هذا النحو .

الأستاذ سيد سابق :

الديانة المسيحية واليهودية تمنع التابع لها من أن يتزوج بالمسلمة .

الأستاذ حسن الخطيب :

ذكر فضيلة الأستاذ البنا حكمة إباحة تزوج المسلم من الكتابية ، وحرمة تزوج المسلمة بغير المسلم ولو كان كتابياً ، وبقيت الإشارة إلى النص القرآنى الذى يحرِّم تزوج المسلمة بغير المسلم ، وذلك هو قوله تعالى فى سورة البقرة : « وَلاَ تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا ، وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ، أُولئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ، وَاللهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ » . وذلك لأننا إذا قلنا — كما رأى بعض العلماء والمفسرين — إن المشركين يتناولون الكتابيين ، كان النص محرماً لتزوج المسلمة من الكتابى . وإنما كان يتناولهم على رأى هذا البعض لأن أهل الكتاب قال الله فى شأنهم فى سورة التوبة : « وقالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ ، وَقالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ، ذلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ ، يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ، قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ . اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ ، وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ، وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلهاً وَاحِداً ، لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ ، سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ » .

وإن قلنا إن المشركين لا يتناولون الكتابيين كان التحريم بإبقاء النص ؛ ألا ترى إلى قوله تعالى : « وَلا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا » فجعل الإيمان غاية للنهى عن إنكاح المشركين ، وكذلك قوله فى ختام الآية فى بيان علة النهى : « أُولئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ » أى يدعون إلى الكفر المفضى إلى النار ، والكتابيون مثل المشركين فى ذلك . يضاف إلى هذا إجماع علماء المسلمين على عدم صحة تزوج المسلمة بغير المسلم ولو كان كتابياً ، ولا شك أن الإجماع إذا تحقق حجة من الحجج الشرعية التى تستقى منها الأحكام .

الأستاذ محمد أبو زهرة :

الواقع أن القرآن صريح فى تحريم زواج المؤمنة بالكافر مطلقاً ؛ ففى قوله تعالى : « يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ، اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ، فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلاَ تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ، لاَ هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ ، وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ » . فهنا عبر القرآن الكريم فى الحل بالكفار ، وكلمة

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

الكفار تشمل فى عرف القرآن المشركين والكتابيين ، فقد قال تعالى : « لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ » . وقال تعالى : « لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ » . وقال تعالى : « مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ » . فالنص صريح لا مجال فيه للتأويل . وإذا كان لى أن أتكلم بعد الذى قاله الزميلان ، فإنى أوافق فضيلة الأستاذ البنا على ما قرره من حكمة واضحة ، كما أشكر لأخى الأستاذ الخطيب فى أنه أراد أن يأخذ من إيماء النص ومن غايته ما يدل على مقصد الإسلام ، وهى ألا تتزوج المسلمة بغير مسلم ، والحقيقة أن هذه إشارة جيدة ، وفقط أنه قد يرد عليها أن الله سبحانه وتعالى قال : « وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ » والفقهاء قالوا إنه إذا أسلم زوج المشركة ، تخير الزوجة بين أن تدخل فى الإسلام أو تدخل فى دين كتابى .

بقى أن أقول عن مذاهب الفقهاء ، وقد يكون فيه بعض التكرار لكلام الناس من أن جمهور المسلمين يقرر جواز زواج المسلم بالكتابية ، ولم يخالف من الصحابة إلا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فى بعض ما روى عنه ؛ فقد كان يرى أن زواج المسلم بالكتابية لا يجوز ، وخالف بعض الشيعة الإمامية ، والشيعة الزيدية من فرق الشيعة كانوا مع جمهور المسلمين فى هذا ، إنما الذى خالف بعض الشيعة الإمامية الإثنى عشرية ، وابن حزم عند ما تكلم فى الخلاف فى هذه القضية قال إنه مع ابن عمر فى اعتبار الكتابيين قد وقعوا فى الشرك ، ولكن القرآن قد استثنى ممن وقعوا فى الشرك الكتابيين « الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ، وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ ، وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ ، وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ ، وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ »

والذى تجب الإشارة إليه هنا أن الصحابة مع أنهم كانوا يبيحون ذلك ، كان يكرهونه ، وعمر رضى الله عنه كان يمنع بعض الصحابة من أن يتزوجوا غير المسلمات ، لأنه كان يخشى أن يغرى الصحابة جمال المسيحيات فيتركوا المسلمات ويتزوجوا بالكتابيات ، فقد طلب عمر من حذيفة أن يطلق كتابية تزوجها فطلقها .

ولم يعرف أن النبى صلى الله عليه وسلم تزوج من الكتابيات ، إنما تسرى بمارية القبطية بملك اليمين ، وقد قرأت فى تاريخ ابن كثير فى زوجات النبى وإمائه أن مارية

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

استمرت على دينها ، واستمرت أمة حتى عهد عمر رضى الله عنه وماتت . وقد ذكر ذلك الحافظ ابن كثير فى كتابه البداية والنهاية فى آخر الجزء الذى اشتمل على وفاة النبى .

ولكن قرأت بعد ذلك فى رسالة الصحابة لابن حزم أن مارية القبطية أسلمت وتزوجها النبى ، وقال إن نساء النبى جميعا أفضل الناس بعده صلى الله عليه وسلم حتى مارية القبطية ، فهو يذكر أنها أسلمت وأنه تزوجها .

هاتان روايتان لإمامين جليلين من الحفاظ هما ابن كثير وابن حزم .

الأستاذ حسن الخطيب :

أذكر أن ابن عمر ، اختلفت الروايات عنه بالنسبة لحل تزوج المسلم من الكتابية وعدم حله ، وألخص الروايات التى رويت عنه فى أن رواية قالت إنه يكره التزوج من الكتابيات ، ورواية أخرى تقول إنه يحرم ، وثالثة تقول إنه ما كان يقطع برأى ، وكان إذا سئل يتحرج من الإجابة . ويلقى على السائل الآية التى تحلل والآية التى تحرم . لكن المروى عن ابن عباس أنه كان يمنع زواج المسلم من الكتابية إذا كانت من أهل الحرب ، أما إذا كانت ذمية فإنه يبيح الزواج منها .

الأستاذ مصطفى زيد :

فى رأى ابن عمر أورد أبو جعفر النحاس فى كتابه الناسخ والمنسوخ فى القرآن الكريم أن آية البقرة : « ولاَ تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ » نسخت آية المائدة « والْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ » .

وقد فسر هذا بأن المشركات يتناولن الكتابيات ، وقد ناقشه العلماء فى هذا وردوا عليه بما ذكره حضرات الأساتذة الفضلاء ، وأزيد أن سورة المائدة آخر السورتين نزولاً ، والمتأخر ينسخ المتقدم ، لا العكس .

والخلاصة

أن زواج المسلمة بغير المسلم حرام باتفاق العلماء ، ولا ينعقد إذا تم ، وقد وردت الأدلة القاطعة بذلك ، أما زواج المسلم بالكتابية فجائز عند جمهور الفقهاء لصريح آية سورة المائدة ، وزواج المسلم بغير الكتابية حرام ولا ينعقد بالاتفاق .

ومع أن جمهور الفقهاء جوز زواج المسلم بالكتابية ، إلا أن المروى عن جمهور الصحابة أنهم كرهوا ذلك ولم يستحسنوه وما كل حلال مستحسناً . ومن المقررات الشرعية أن الأولاد من غير المسلمة يكونون مسلمين تبعاً لأبيهم ذكوراً أو إناثاً .

وهنا كانت الساعة قد بلغت العاشرة فانصرف الجميع سائلين الله التوفيق .

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

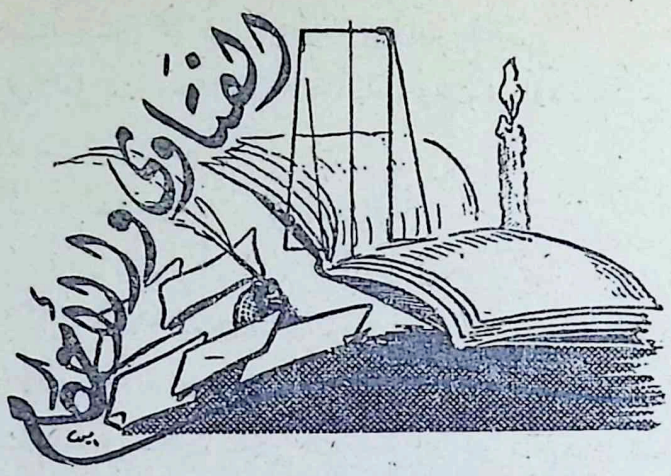

س ١ : يقول الله تعالى « إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ، يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً » ونجد بعض العلماء مع هذا الأمر الصريح يكتفون بالتسليم فيقولون عند ذكر اسمه الشريف : « عليه السلام » فما وجههم فى هذا الاقتصار ؟

ج ١ : قال بعض العلماء : إن قوله تعالى « إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ... » لايقتضى وجوب الجمع بين الصلاة والتسليم . ولهم فى هذا طريق فى الاستدلال سلكوه ، وأخذوا منه عدم كراهة ذكر التسليم دون الصلاة .

ويقول آخرون إن الله تعالى أمرنا فى الآية بالصلاة والتسليم فيكره إفراد التسليم عن الصلاة عملا بالآية الكريمة . وهذا القول هو الذى ارتضاه كثير من العلماء ، وهو ما تدل عليه الآية ، ولذلك ينبغى المصير إليه .

ولا ريب أن اللائق بالمسلم أن يكون عمله كاملا ، وأن يختار لنفسه أفضل أنواع العبادة ، وألاَّ يتهاون فيعمد إلى أضعف أنواعها ؛ لأن العاقل دائما يختار لنفسه أرفع الدرجات . على أن القول الأخير فى رأيى هو الصواب من جهة الاستدلال . أما استدلال أصحاب الرأى الأول فهو استدلال ضعيف لاينصره نقل ولا تؤيده رواية . هذا الى أن إفراد السلام ينبئ عن التفريط ، ويدل على عدم الشعور بالمقام الكريم . وعلى المسلم أن يكون عمله جميعه توقيرا وتكريما لرسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم .

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

س ٢ : سأل السيد حسين محمد يونس بمدرسة بهتا الغربية قال :

توفى رجل سنة ١٩٥٠ عن ثلاثة أبناء ، وبنت ، وأولاد بنت توفيت عام ١٩٤٦ ، وأولاد بنت توفيت عام ١٩٣٣ .

ج ٢ : الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله .

وبعد ، فإن الحكم أن تقسم التركة على النحو الآتى :

(١) يكون لأولاد البنتين اللتين توفيتا فى حياة المورث ما كانت تستحقه البنتان .

(٢) وعلى ذلك تفرض البنتان على قيد الحياة ، فكأن المتوفى ترك ثلاثة أبناء وثلاث بنات ، فيكون لكل بنت تُسع التركة ، ويكون للبنتين اللتين توفيتا فى حياة المورث تُسعان .

(٣) يستخرج التسعان من أصل التركة ويقسمان ، كل تسع على أولاد بنت ؛ فأولاد البنت المتوفاة سنة ١٩٢٣ يقسم عليهم تُسع التركة ، وأولاد البنت المتوفاة سنة ١٩٤٦ التسع الثانى .

ويلاحظ أن هذا الإفتاء إنما هو على مقتضى المعمول به فى القوانين المصرية . فنرجو السادة قراء المجلة من الأقطار الإسلامية الشقيقة أن يلاحظوا ذلك ، وأن لاحظوا أن أولاد البنتين اللتين توفيتا فى حياة المورث لا يستحقون بمقتضى الميراث الشرعى ، وإنما يستحقون بمقتضى الوصية الواجبة التى جاء بها القانون رقم ٧١ سنة ١٩٤٦ .

س ٣ : جاءنا من قارىء لم يشأ ذكر اسمه السؤال التالى قال :

التقى رجل وفتاة رشيدان ، واتفقا على الزواج عرفيا ، فقال لها : لقد تزوجتك وقبلتك زوجة شرعية لى على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، واتخذت الله شاهدى على هذا الزواج مبرأ من كل غرض قبيح ، بل زواجا صحيحا ، والله على ما أقول شهيد . وقالت الزوجة مثل قوله وقرآ الفاتحة ، ولم يعلن عن زواجه ، ولم يشهد أحداً ، بل صار هذا الزواج سراً بينهما حتى رزقا بأربعة أولاد . وهو الآن يبحث عن الطريقة الرسمية التى تثبت زواجه قانونا ؛ فإنه يهمنا صحة هذا الزواج وهل الزواج بهذه الطريقة زنا ، أو زواج ناقص ؟

ج ٣ : الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله .

وبعد ، فقد أجمع الفقهاء على أن هذا الزواج غير صحيح ؛ لأن شرط الزواج

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

الإعلان وقت إنشائه ؛ فقد اجتمعت كلمتهم على أن فرق ما بين الحلال والحرام الإعلان . فهذا الزواج باطل بالإجماع . وقد ورد الأثر عن النبي صلى الله عليه وسلم بأنه لا نكاح بدون شهود ، وقد قرر السائل بأنه تزوجها من غير شهود . ولذلك يجب أن يفترقا فوراً . وإن أرادا استئناف حياة زوجية صحيحة فعليهما أن يعقدا عقدا شرعيا مستوفيا كل شروط الصحة .

أما الأولا ، فإن فقهاء الحنفية قرروا أن الدخول فى هذه الحالة كان فيه شبهة تسقط عقوبة الزنا ، وتوجب المهر ، وتثبت نسب الأولاد ، وتوجب العدة إن افترقا ولم يريدا استئناف حياة زوجية صحيحة شرعا .

وإننا إذ نقرر هذا نأسف أشد الأسف أن يقع هذا من مسلم .

س ٤ : وورد من السيد محمد الحداد على من كفر الجرايده السؤال الآتى :

توفيت سيدة وتركت أختين من الأب ، وثلاثة ذكور وبنتا من أخت شقيقة ، وبنت أخ شقيق ، وثلاثة ذكور من ثلاثة إخوة أشقاء ، وابن ابن عمها .

ج ٤ : للأختين من الأب ثلثا التركة ، والباقى وهو ثلث التركة للثلاثة الذكور أولاد الإخوة الأشقاء . ولا شىء للباقين .

محمد أبو زهرة

تقاريظ :

فقه الاسلام

أهدى الينا الأستاذ الجليل حسن أحمد الخطيب كتابه القيم ((فقه الاسلام))، فتبينا فيه صدق عنوانه ؛ فان قارئه يرى فيه أصول الاسلام وفروعه وطرق استنباط الأحكام مدروسة دراسة محققة مبنية على الاستقراء معروضة فى عبارة عذبة جميلة ؛ وهو بهذا يسد حاجة ملحة طالما تطلبها فى المكتبة الاسلامية شتى الدارسين من طالب حقوق ومتخصص فى الفقه وقاض يلتمس استنباط الأحكام وباحث يبغى الوقوف على تاريخ تشريع الاسلام ؛ كل أولئك يصيبون فى الكتاب بغيتهم ويسعفهم بطلبتهم من أيسر سبيل . واننا نشكر الأستاذ المحقق ونقدر جهوده ، ويفرض علينا تقديرنا لهذه الجهود الكبيرة وحبنا لنفع أبناء العروبة والمستنيرين من المسلمين ان ننصح للدارسين باقتنائه والانتفاع بمباحثه .

ويطلب الكتاب : من دار المعارف ومكتباتها بمصر والشرق العربى

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

فهرس

٤٦٧	الأزهر للدين أولا	أحمد حمزة
٤٦٩	تفسير القرآن الكريم	محمد أبو زهرة
٤٧٨	حكم الإسلام فى الشكوك والأوهام (حديث شريف) ...	عبد الوهاب حمودة
٤٨١	العرب والسياسة	محمد الخضر حسين
٤٨٤	جنود الله	محمد البنا
٤٨٩	واجب العرب والمسلمين نحو المغرب العربى	حسن أحمد الخطيب
٤٩٤	صراع بين الحق والباطل — فى فلسطين	محمد أبو زهرة
٥٠١	الأدب العربى فى القرآن الكريم	كامل البنا
٥٠٥	عائشة أم المؤمنين	عبد المغنى المنشاوى
٥١٠	التجديد والتوسيع فى الحرم النبوى الشريف	خطاب محمد
٥١٥	صورة الجناح الجديد فى الحرم	تحرير
٥١٦	ندوة لواء الإسلام	»
	توسيع الحرم النبوى	»
	استبدال النقد بالهدى	»
	زواج المسلم بالكتابية	»
٥٢٥	فتاوى	محمد أبو زهرة

مجلة لواء الإسلام

مجلة دينية ثقافية اجتماعية — صاحب الامتياز : أحمد حمزة

رئيس التحرير : محمد أبو النجا — مدير التحرير : محمد على شتا

برقيا : الزهراء بمصر — ص . ب ١٩٨٢ — تليفون ٥٠٧٢١

العنوان : ١١ شارع شريف باشا — القاهرة

القاهرة

مطبعة دار الكتاب العربى

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

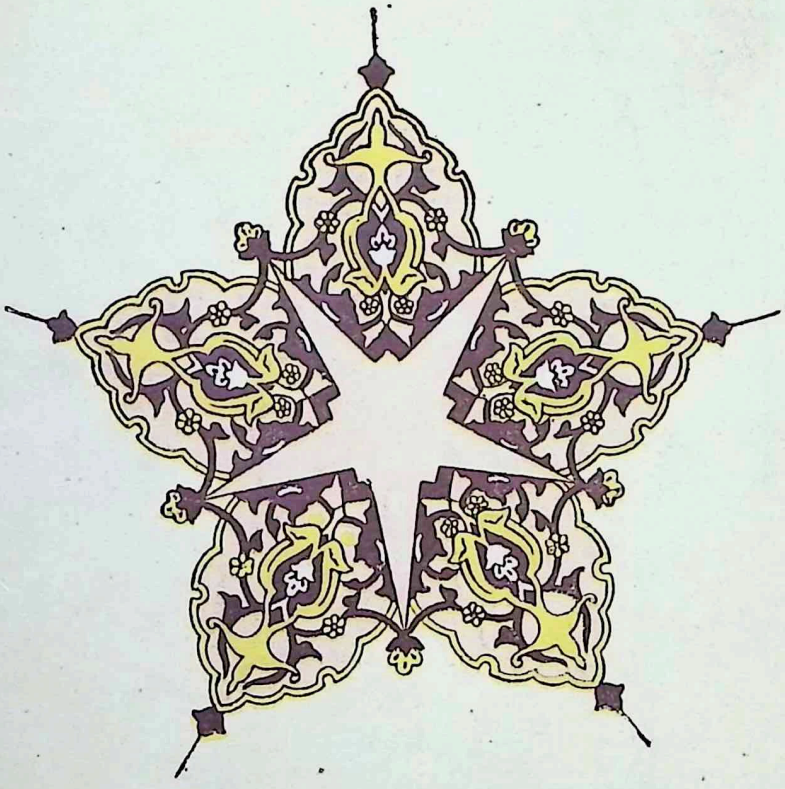

الثمن ٣ قروش

مطابع دار الكتاب العربى بمصر

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle